

أَطْيَبُ النَشْرِ  
فِي  
نَفْسِ الْوَصَايَا الْعَشْرِ

الدكتور / مزوق بن هياس آل مزوق الزهراني

يُطْلَبُ مِنْهُ مَكْتَبَةُ الْعُلُومِ وَالْحَكَمِ  
الْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ



## المقدمة

الحمد لله أجل الحمد وأوفاه، والصلاة والسلام على أفضل رسل الله، سيدنا محمد ابن عبد الله، الذي بعثه ربه للعالمين رحمة، ولهداية البشر اصطفاً، وبه ختم الأنبياء، فلا نبوة بعده لأحد من خلق الله، وأنزل الله عليه الكتاب معجزة خالدة، وتبيناً لما فيه سعادة الإنسان في أولاه وأخراه، وصلى الله على آله الأطهار، وأصحابه الأبرار، ومن اقتفى أثره وترسم خطاه.

أما بعد :

فهذه نظرات علمية، وتأملات فكرية في معاني آيات من كتاب الله عز وجل، ضمت الآيات أموراً هي قوام المجتمع الإسلامي وأسس مثالية الحياة لكل إنسان وفقه الله وبفضله ورحمته اجتباها، تلکم الأمور هي المسماة «الوصايا العشر» والآيات التي ضمت هذه الوصايا هي المبدوءة بقوله تعالى : ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾<sup>(١)</sup>.

وقد يخطر في ذهن القارئ الكريم أن يسأل عن سبب عنايتي بهذا الموضوع دون سواه من موضوعات الشريعة التي تزخر بكثير من المسائل في العديد من الأبواب. وجوابي عن هذه الخاطرة أن الحافز إلى هذا العمل أمران :

١ - حب المعاشية لكتاب الله عز وجل. ولأن هذه الوصايا عليها مدار الإسلام، وهي أسس النجاة وقوارب الفوز لعبور أمواج بحار الحياة العاتية، فالمستمسك بها تحصل له السلامة في الدنيا والنجاة في الآخرة.

٢ - إن كتاب الله عز وجل هو المصدر الأول للشريعة الإسلامية، والسنة النبوية المصدر الثاني المبين والمفصل لما جاء في المصدر الأول فالعناية بهما أوجب الواجبات والتعرف على شيء من كنوزهما جهد المقل، وما عداهما من العلوم ففرع عنهما أو خادم لهما، وقد كنت عايشة سنة رسول الله ﷺ بعض الشيء، وتاقت نفسي إلى جلسات مع كتاب الله عز وجل، فرأيت أن أبدأ بدراسة تلك الوصايا المباركة رجاء أن تكون وصيتي لنفسي كما هي

(١) الآيات (١٥١ - ١٥٣) من سورة الأنعام .

وصية الله إلى عباده جميعاً، ووصية نبي الله إلى أمته، ومما تجدر الإشارة إليه هنا إعطاء القارئ الكريم نبذة عن نظرتي إلى هذه الوصايا. فأقول سائلاً المولى جل ثناؤه التوفيق لكل خير، والبعد عن المزالق والزلل: إن المتأمل لتلك الآيات التي وردت بعد الحديث عن تشريعات الأنعام والثمار يجد أن تلك الوصايا هي قواعد هذا الدين الذي جد في بناء المجتمع الإنساني بناء يليق بمقامه واصطفائه، ففيها سعادة بنى الإنسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهي قوام حياته تذكى جذوة التوحيد في نفسه لتحرق تلك الجذوة أوهام الجاهلية، وتبيد تصوراتها، وتكشف زيف مزاعمها، فتملاً قلب الإنسان بنور الإيمان الذي يضيء له الطريق عبر مشواره الطويل إلى أن يلقي ربه عز وجل على صراط مستقيم، ويجد المتأمل أيضاً أن هذه الوصايا قوام حياة الأسرة الإنسانية التي يتكون منها المجتمع البشري عبر أجيالها المتلاحقة، فكل أسرة تستمد هدايتها من هذا المنهل العذب فإنها تؤتي ثمارها طيبة مباركة بإذن ربها محفوفة برعاية الله في كل ما يحوط الحقوق الإنسانية من ضمانات، وتسعد بكل ما يدفع إلى القيام بالواجبات، وتقدمت الإشارة إلى أن الدين الإسلامي عني ببناء المجتمع الإسلامي الذي بناؤه نابع من صلاح الأسرة، ومن هذه الوصايا ندرك القدر العظيم في بناء المجتمع الذي جعل الدين الإسلامي التكافل أحد لبثاته، فالعفة والطهارة تحوط كل ما يجري فيه من معاملات، كل ذلك مرتبط بعهد الله عز وجل ولتحقيق هذه الغاية يرى المتأمل أن الوصايا بدأت بأعظم أسس إصلاح المجتمع وهي أسس عظيمة لكن توحيد الله عز وجل في المقام الأول، فالمجتمع السليم يقوم على المبدأ السليم ولا حياة لمجتمع يفقد العقيدة النقية الموافقة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإذا صحت العقيدة صح بناء المجتمع وإذا فسدت العقيدة فسد المجتمع، وبصحة العقيدة تصح العبادات، وإذا صحت العبادات أثمرت الأعمال وقوي الرجاء في النجاة بين يدي الله عز وجل مالم يتخلف القبول بسبب خارجي، ولهذا فإن اللازم قبل الدخول في الأوامر والنواهي، وقبل الشروع في التكاليف والواجبات أن تقوم في المجتمع قاعدة التوحيد قال تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك﴾ (١) وقال رسول الله ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا لا إله إلا الله... الحديث). (٢) وقال لما بعث معاذاً إلى اليمن: (... فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله... ) (٣) وقد عني الكتاب والسنة بالتوحيد وجعله قاعدة أساسية

(١) الآية (١٩) من سورة محمد .

(٢) أخرجه الإمام البخاري (الصحيح مع الفتح ١/٧٥).

(٣) أخرجه الإمام البخاري (المصدر السابق ٣/٢٦١).

لجميع الأعمال، منها تستمد الحقوق والواجبات، وقد رتب الإسلام على العقيدة مارتب من الولاء والبراء، وما وضع من الشرائع والأحكام فيجب أن يعترف الإنسان في هذا العصر المليء بالتناقضات بربوبية الله له في كل شأن من شئون حياته، كما يجب أن يعترف بالله عز وجل إلهاً واحداً، لا شريك له في ألوهيته ولا في أسمائه وصفاته، ولا ريب أن المتأمل يجد في هذه الوصايا تحديداً للمنهج الذي يجب أن يسير عليه كل مسلم إنه المنهج الإسلامي الرفيع الذي يقدم الأسلوب الوقائي على الأسلوب العلاجي، ولا يعرض الناس للفتنة ثم يكلفهم مشقة في المقاومة تتلف أعصابهم وتهدر طاقاتهم، إن الإسلام دين وقاية قبل أن يرسم الحدود ويوقع العقوبات فهو دين حماية للفرد والأسرة والمجتمع، يرعى الإنسان في شئون دنياه ويرشده في أمور آخرته، يحمي الضمير الإنساني فلا يهجم فيه إلا خير ولا ينطوى إلا على صفاء الاعتقاد، ونداء الحق، وهاتف الخير، ومراقبة الله في السر والعلانية، إنه دين صيانة المشاعر، إذ يرشد إلى سمو الأخلاق، ويحذر من الإساءة أيّاً كان مصدرها والباعث عليها، واعتنى بالحواس فأرسل قواعد تهذيبها، ووطد دعائم حماية الجوارح، والحماية منها أيضاً جعل لكل ذلك قانونه وضوابطه في شتى مجالات الأعمال الدنيوية والأخروية. وربك أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير.

الباحث

## المنهج في البحث

لما كانت الآيات الكريمة تشمل عشر وصايا توضح جانباً عظيماً أقامته الشريعة الإسلامية في مبادئها النظرية والتطبيقية، وفيه تحديد الأسس التي يقوم عليها اصلاح البشرية رأيت أن لا أخالف المنهج القرآني. في سرد الوصايا مرقمة حسب تسلسلها في كتاب الله عز وجل وقد جعلت كل وصية عنواناً مستقلاً وتابعت بحث ما تضمنته الوصية من مبادئ وأحكام تحت عناوين جانبية ورأيت أن من تمام البحث التعرض لكل ما يخدم البحث من حيث بيان الغريب. والنظر في الجانب اللغوي مما له علاقة في توضيح المعنى مع الإفادة التامة من أقوال أئمة التفسير واستخدام المصادر وتوثيق المعلومات. والله تعالى أنبأ حسن القصد والتهام والبعد عن اللغو والآثام. وأن يوفقنا لحفظ شريعته وخدمة دينه.

### بعض ما جاء في فضل هذه الآيات

ما من شك أن كل آية في كتاب الله عز وجل تزخر بالفضيلة، وهي معين يفيض بالخير، ويتدفق بالهداية، ومن ذلك الخير ما حوت هذه الآيات، ومن ذلك النور ما أضاء به طريق الحائرين حتى تركت لهم جادة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وما في هذه الآيات من نور يشع بالخير والهداية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها هو وصية الله إلى عباده، ووصية محمد ﷺ إلى أمته.

قال الترمذي رحمه الله :

حدثنا الفضل بن الصباح البغدادي<sup>(١)</sup>، حدثنا محمد بن فضيل<sup>(٢)</sup>، عن داود الأودي<sup>(٣)</sup> عن الشعبي<sup>(٤)</sup>، عن علقمة<sup>(٥)</sup> : عن عبد الله<sup>(٦)</sup> قال : (من سره أن ينظر إلى الصحيفة<sup>(٧)</sup> التي عليها خاتم محمد ﷺ فليقرأ هذه الآيات :

(١) أصله من نهاوند، ثقة مات سنة خمس وأربعين ومائة.

(٢) ابن غزوان، صدوق، رمي بالتشيع.

(٣) ابن يزيد، الأودي، الزعفراني، ضعيف، مات سنة إحدى وخمسين ومائة.

(٤) عامر بن شراحيل، ثقة مشهور.

(٥) ابن قيس، النخعي، ثقة ثبت.

(٦) ابن مسعود رضي الله عنه.

(٧) لعل في هذه التسمية ما يشير إلى أنها من الصحف المنزلة قبل الإسلام ويأتي البيان إن شاء الله.

﴿قل تعالوا أتئل ما حرم ربكم عليكم﴾ الآية إلى قوله: ﴿لعلكم تتقون﴾<sup>(١)</sup>. وقال عقبه: هذا حديث حسن غريب<sup>(٢)</sup>.

وقال الطبري رحمه الله: حدثنا ابن وكيع<sup>(٣)</sup> قال: ثنا إسحاق الرازي<sup>(٤)</sup>، عن أبي سفيان<sup>(٥)</sup>، عن عمرو بن مرة<sup>(٦)</sup> قال: قال الربيع<sup>(٧)</sup>: ألا أقرأ عليكم صحيفة من رسول الله ﷺ لم يفيل<sup>(٨)</sup> خاتمها؟ فقرأ هذه الآيات ﴿قل تعالوا أتئل ما حرم ربكم عليكم﴾<sup>(٩)</sup>.

وقال رحمه الله: حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا جرير<sup>(١٠)</sup>، عن الأعمش<sup>(١١)</sup>، عن إبراهيم<sup>(١٢)</sup>، عن علقمة<sup>(١٣)</sup> قال: جاء إليه نفر فقالوا: قد جالست أصحاب محمد - ﷺ - فحدثنا عن الوحي، فقرأ عليهم هذه الآيات من الأنعام ﴿قل تعالوا أتئل ما حرم ربكم

(١) الآيات من (١٥١ - ١٥٣) من سورة الأنعام.

(٢) الجامع ٢٦٤/٥. قد أشكل هذا المسلك للإمام الترمذي رحمه الله على العلماء، ويذكر الدكتور نور الدين عترو وهو صاحب بحث في جامع الترمذي أنه إذا قال: حسن غريب فهو يريد ما كان دون الصحة لكنه ليس بضعيف وهو الحسن لذاته، وقد يريد غرابة السند لا المتن (انظر تعليقه على مقدمة ابن الصلاح ص ٣٦). ويؤيد أنه أراد غرابة السند أن الرواية أخرجه البيهقي في شعب الإيمان والطبراني وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه كلهم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه (الدر المنثور ٥٤/٣) وهو شبيه بحديث عمر إننا الأعمال بالنيات. فلي نظر.

وعلى هذا الفهم فالحديث حسن لذاته عند الترمذي رحمه الله. وإن كان في سنده داود بن يزيد الأودي مجمع على ضعفه (انظر التهذيب ٢٠٥/٣) لكنه ضعف محتمل، ولذلك قال ابن عدي رحمه الله: ولم أرفي حديثه منكرًا يجاوز الحد، وداود وإن كان ليس بالقوي في الحديث، فإنه يكتب حديثه ويقبل إذا روى عنه ثقة. (الكامل ٩٤٨/٣) وتلميذه محمد بن فضيل صدوق، وبقي رجال السند ثقات وتقدم البيان. ويقويه ما يأتي من إيضاح.

(٣) سفيان بن وكيع، صدوق، بلي بوراقه، ولم يقبل النصح، فسقط حديثه.

(٤) هو ابن سليمان، أبو يحيى، ثقة فاضل، مات سنة مائتين.

(٥) سعيد بن سنان الشيباني، صدوق له أوهام أخرج له مسلم والأربعة.

(٦) الجملي، الأعمى، كان لا يدلس، ثقة، عابد، رمي بإرجاء أثني عليه الأئمة، وله صفات جميلة (انظر التهذيب

١٠٢/٨).

(٧) ابن خثيم بن عائذ الثوري، ثقة عابد، قال له ابن مسعود رضي الله عنه: لوراك رسول الله ﷺ لأحبك. لكن عمرو بن مرة في غالب ظني أنه لم يسمع منه فإني لم أجده في تلاميذ الربيع، ولا الربيع في شيوخه، ثم إن بين وفاتها خساً وأربعين سنة، والربيع من الثانية، وعمرو من الخامسة وأخرجه الطبري من طريق أخرى عن الربيع غير أنه قال: عن رجل عن الربيع (الطبري ٦٤/٨).

(٨) أي لم يكسر خاتمها، ومعنى الفل: الكسر. (انظر اللسان ٥٣٠/١١ والصحاح ٢٦٠/٢).

(٩) الطبري ٦٤/٨.

(١٠) ابن عبد الحميد بن قرط، ثقة، صحيح الكتاب.

(١١) سليمان بن مهران، ثقة، حافظ، لكنه يدلس.

(١٢) ابن يزيد النخعي، ثقة، يرسل كثيراً.

(١٣) ابن قيس ثقة ثبت تقدم. وهو يروى عن ابن مسعود فضل هذه الآيات، فيكون إبراهيم متابعاً لداود الأودي في أصل هذه

الرواية.

عليكم ألا تشركوا به شيئاً﴾ قالوا: ليس عن هذا نسألك<sup>(١)</sup> قال فما عندنا وحي غيره<sup>(٢)</sup>.

سؤال رسول الله ﷺ أصحابه المبايعة عليها:

قال أبو عبد الله الحاكم رحمه الله:

حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار<sup>(٣)</sup>، حدثنا محمد بن مسلمة الواسطي<sup>(٤)</sup>،

حدثنا يزيد بن هارون<sup>(٥)</sup>، أنبأنا سفيان بن حسين<sup>(٦)</sup>، عن الزهري<sup>(٧)</sup>، عن أبي إدريس<sup>(٨)</sup>

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: (من يبايعني على هؤلاء الآيات، ثم قرأ - ﴿قل تعالوا أتل

ما حرم ربكم عليكم﴾ حتى تحتم الآيات الثلاث، فمن وفى فأجره على الله، ومن انتقص

أدركه الله بها في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخر إلى الآخرة، كان أمره إلى الله، إن شاء

عذبه، وإن شاء غفر له)<sup>(٩)</sup>. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه<sup>(١٠)</sup>. وقد

وافقه على هذا الحافظ الذهبي رحمه الله<sup>(١١)</sup>.

---

(١) الذي يظهر لي أنهم أرادوا أن يقص عليهم خبر الوحي إلى رسول الله ﷺ على نحو ما روت عائشة رضي الله عنها لكنه صرفهم إلى هذا ليرشدتهم إلى فضلها وأهميتها وقوله: (ليس عندنا وحي غيره) الضمير يعود على القرآن فلا يفهم أنه نفى ما عدا هذه الآيات.

(٢) الطبري ٦٤/٨.

(٣) نقل السبكي عن الحاكم أنه قال: هو محدث عصره، وكان مجاب الدعوة (طبقات الشافعية ١٧٨/٢) وهذه تركية من أبي عبد الله الحاكم لشيخه ولما قيمتها لقوة الصلة ومزيد الخبرة رحم الله الجميع.

(٤) أبو جعفر، قال الخطيب رحمه الله: في حديثه مناكير بأسانيد واضحة، ونقل عن الحاكم أنه سمع الدارقطني يقول: لا بأس به، ونقل الخطيب تضعيفه عن آخرين. (تاريخ بعداد ٣٠٥/٣). وأمر الحاكم واضح في هذا فقد أخذ بقول الدارقطني رحمه الله وإن كنت لم أجد هذا في سؤالاته للدارقطني ولا الضعفاء والمتروكون له. ولعله في كتاب آخر بل الذي في سؤالات البرقاني للدارقطني (متروك) انظر ص ٢٨. لكن العجيب أن الحافظ الذهبي يوافق الحاكم على صحة الحديث مع أنه لا يرضى عن محمد بن مسلمة حسبا نفهم من ترجمته له (في الميزان ٤١/٤) فهل تبع الحاكم في الأخذ بقول الدارقطني أو أنها كبوة، ولكل جواد كبوة.

(٥) أبو خالد، الواسطي، ثقة، متقن.

(٦) أبو محمد، الواسطي، ثقة في غير الزهري باتفاقهم.

(٧) محمد بن مسلم، النخعي، الحافظ، المتفق على جلالته وإتقانه.

(٨) الخولاني، عائذ بن عبد الله، سمع من كبار الصحابة، وكان عالم الشام بعد أبي الدرداء.

(٩) لاشك أن من المعلوم للمسلم أن الشرك لا يدخل تحت هذا القول فهو مخصوص بقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك﴾ الآية ٤٨ من النساء، وإذا علم فإن قوله هذا أصل مذهب أهل السنة والجماعة لأنه فيما عدا الشرك، وقتل النفس على خلاف في الأخير من الكبائر التي يدخل أصحابها تحت المشيئة خلافا للخوارج القائلين بأن مرتكب الكبيرة مخلد في النار. وهو مذهب واضح البطلان.

(١٠) (المستدرک ٣١٨/٢) وتقدم كلام عن هذا في تعليق (٤) والحديث في سنده محمد بن مسلمة الواسطي أقل أحواله الضعف، وسفيان ضعيف في الزهري. لكن الحديث أصله في الصحيحين من رواية الزهري، عن أبي إدريس، عن عبادة رضى الله عنه، دون قوله: (من يبايعني على هؤلاء الآيات، ثم قرأ - قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم - حتى ختم الآيات الثلاث -). ولينظر (الصحيح مع الفتح ٦٤/١، وصحيح مسلم ١٣٣٣/٣) ولفظ الحاكم أخرجه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ ابن مردويه عن عبادة بن الصامت (الدر المنثور ٣٨١/٣).

(١١) انظر (التلخيص مع المستدرک ٣١٨/٢).



## صلة الآيات بالكتب السماوية :

قال الطبري رحمه الله :

حدثنا محمد بن المثنى<sup>(١)</sup>، ومحمد بن بشار<sup>(٢)</sup> قالوا : ثنا وهب بن جرير<sup>(٣)</sup> قال : ثنا أبي<sup>(٤)</sup> قال : سمعت يحيى بن أيوب<sup>(٥)</sup> يحدث عن يزيد بن أبي حبيب<sup>(٦)</sup>، عن مرثد بن عبد الله<sup>(٧)</sup>، عن عبيد الله بن عدي بن الخيار<sup>(٨)</sup> قال : (سمع كعب الأحبار<sup>(٩)</sup> رجلاً يقرأ (قل) تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) فقال : والذي نفس كعب بيده ، إن هذا لأول شيء في التوراه ، - بسم الله الرحمن الرحيم ، قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم -<sup>(١٠)</sup>.

(١) الزُّمَنْ ، ثقة ، ثبت ، وهو قرين محمد بن بشار بندار ، وماتا في سنة واحدة .

(٢) بندار قرين سابقه ، ثقة .

(٣) ابن حازم ، ثقة .

(٤) جرير بن حازم أبو النصر وهو والد وهب ، ثقة ، يضعف إذا حدث عن قتادة ، وله أوهام إذا حدث من حفظه ولم يحدث في حال اختلاطه .

(٥) أبو العباس ، الغافقي ، صدوق ربما أخطأ روى له الجماعة .

(٦) أبو رجاء ، المصري ، ثقة ، فقيه ، وكان يرسل .

(٧) أبو الخير ، المصري ، ثقة ، فقيه .

(٨) كان مميزاً يوم الفتح فعد في الصحابة . وعده آخرون في ثقات التابعين . انظر (أسد الغابة ٣٤١/٥ والثقات للعجلي ص ٣١٨) .

(٩) كعب بن ماته الحميري ، من أهل اليمن وسكن الشام ، ثقة ، مخضرم .

(١٠) الطبري ٦٤/٨ والإسناد لا يقل عن درجة الحسن فرجاله أئمة كبار وكون يحيى بن أيوب في مرتبة صدوق ربما أخطأ لا ينزل بدرجة عن الحسن فإن الجماعة أخرجوا حديثه ومنهم الإمامان البخاري ومسلم ومن كان هذا حاله فقد جاز القنطرة إن شاء الله وثبت عدالته . ثم إن ابن أبي شيبة وابن الضريس ، وابن المنذر أخرجوا عن كعب أنه قال : (أول ما نزل من التوراة عشر آيات ، هي العشر التي أنزلت من سورة الأنعام (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم - إلى آخرها) انظر (الدر المنثور ٣/٣٨١) . قال الشوكاني رحمه الله : هي الوصايا العشر التي في التوراه .

أولها أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر ، من بيت العبودية ، لا يكن لك إله غيري .

ومنها : أكرم أباك وأماك ليطول عمرك في الأرض ، التي يعطيك الرب إلهك .

لا تقتل - لا تزني - لا تسرق .

لا تشهد على قريبك شهادة زور .

ولا تشته بنت قريبك .

ولا تشته امرأة قريبك .

ولا عبده . ولا أمته . ولا حماره ، ولا شيئاً لقريبك .

قال رحمه الله : فلعل مراد كعب الأحبار هذا ولليهود بهذه الوصايا عناية عظيمة ، وقد كتبها أهل الزبور في آخر زبورهم ، =

## الآيات من محكم القرآن :

قال الطبري رحمه الله :

حدثنا محمد بن الحسين<sup>(١)</sup> قال : ثنا أحمد بن المفضل<sup>(٢)</sup> قال : ثنا أسباط<sup>(٣)</sup> ، عن السدي<sup>(٤)</sup> قال : ( هؤلاء الآيات التي أوصى بها من محكم<sup>(\*)</sup> القرآن)<sup>(٥)</sup> .

وقال أبو عبد الله الحاكم رحمه الله :

حدثنا بكر بن محمد الصيرفي<sup>(٦)</sup> بمرور ، ثنا عبد الصمد بن الفضل<sup>(٧)</sup> ، ثنا مالك بن إسماعيل النهدي<sup>(٨)</sup> ، ثنا إسرائيل<sup>(٩)</sup> ، عن أبي إسحاق<sup>(١٠)</sup> ، عن عبد الله بن خليفة<sup>(١١)</sup> قال : سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول : (إن في الأنعام آيات محكمات ، هن أم

---

= وأهل الإنجيل في أول إنجيلهم ، وهي مكتوبة في لوحين ، وقد تركنا منها ما يتعلق بالسبت . (فتح القدير ١٧٩/٢) . قلت : معلوم تحريف اليهود للتوراة ، ولا يبعد أن يكون اللفظ محرفاً في البعض وعلامته بادية سيما قوله : لا تشهد على قريبك . . . الخ ، فإن مفهومه جواز ذلك فيما عدا القريب وهذه عقيدتهم المحرفة استحلال دماء وأموال وأعراض الآخرين وحاشا شرع الله أن يسمح بذلك . بل إن كعباً تلا الآيات والله أعلم .

(١) ابن موسى ابن أبي حنين ، الكوفي صدوق . انظر (الجرح والتعديل ٢٣٠/٧) .

(٢) أبو علي ، الحضرمي ، شيعي ، صدوق ، في حفظه شيء روى له مسلم .

(٣) ابن نصر احمداً ، صدوق ، كثير الخطأ .

(٤) إسماعيل بن عبد الرحمن ، صدوق بهم ، روي بالتشيع ، روى له مسلم .

\* تقول : أحكمت الشيء فاستحكم ، صار محكماً ، واحتكم الأمر ، واستحكم وثق . وإحكام القول إتقانه ، بتميز الصدق من الكذب ، والحق من الباطل ، والهدى من الضلال ، ولذلك وصف الله كتابه العزيز فقال : ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ الآية (١) من سورة هود أي أحكمت وفصلت بجميع ما يحتاج إليه من الدلائل على توحيده عز وجل ، وإثبات نبوة الأنبياء وختمهم بنبينا محمد ﷺ ، وبيان شرائع الإسلام . فالقرآن الكريم كله محكم متقن ، فمعانيه متفقة وإن اختلفت ألفاظه وهو متشابه في الأحكام والإتقان ، متماثل في الأوامر والنواهي يصدق بعضه بعضاً ويفسر بعضه بعضاً ، وفيه إحكام خاص ، وتشابه خاص قال تعالى : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات وأخر متشابهات ﴾ الآية (٧) من سورة آل عمران . فالمحكم الناسخ ، والحلال ، والحرام ، والحدود ، والفرائض ، والوعد ، والوعيد ، والمتشابه المنسوخ ، والكيفية في الأسماء والصفات ، وفوائد السور ، وهذه الآيات محكمات لما تضمنت من الأوامر والنواهي . (انظر اللسان ١٤٣/١٢) .

(٥) الطبري ٦٤/٨ .

(٦) لم أقف على ترجمته .

(٧) لم أقف على ترجمته .

(٨) أبو غسان ، ثقة ، متقن ، صحيح الكتاب .

(٩) ابن يونس ، بن أبي إسحاق السبيعي ، ثقة تكلم فيه ، بلا حجة .

(١٠) عمرو بن عبد الله ، السبيعي ، مكث ، ثقة ، اختلط بأخرة وقد وصفه النسائي وغيره بالتدليس (انظر إتحاف ذوي الرسوخ

ص ٤٠) لكنه من الطبقة التي توقف فيها جماعة ولم يجتنبوا إلا بما صرح فيه بالسلاع ، وقبلهم آخرون مطلقاً . (المصدر السابق ص ١١) .

(١١) احمداً ، مقبول .

الكتاب ، ثم قرأ - قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم - الآية قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه<sup>(١)</sup> ، ووافقه على هذا الحافظ الذهبي<sup>(٢)</sup> رحمه الله .

### مناسبة الآيات لما قبلها :

التمس علماء التفسير مناسبة للربط بين هذه الآيات وما سبقها ، فتحصل من السياق أن الله عز وجل لما بين فساد رأي الكفار وضلالهم فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام والثمار وأوضح سفههم في ذلك ، وأبطل دعواهم بمطالبتهم بالبرهان ولا قدرة لهم عليه . فله الحجة البالغة . ناسب بعد ذلك أن يوجههم بالأسلوب الحكيم إلى ما يجب عليهم اتباعه من شرع الله عز وجل لا مما تمليه عليهم أهوائهم ، وتسوقهم إليه رغباتهم فيضعوا لأنفسهم قانوناً فيما يحل وما يحرم . بل مرد ذلك إلى العليم الخبير الذي أوضح لهم بأقوى بيان كمال قدرته عز وجل وشدة عجزهم عن تدبير شئونهم<sup>(٣)</sup> . فقال تعالى موجهاً الأمر إلى عبده ورسوله محمد بن عبد الله ﷺ :

﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون (١٥١) ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون (١٥٢) وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (١٥٣) ﴾ .

### سؤال وجوابه

قال العلماء قد يسأل سائل فيقول : قال الله تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم . . . ﴾ الآيات . وعندما نتأمل الآيات نجد عدداً من الأوامر اندرج تحت قوله «ما حرم» كالإحسان إلى الوالدين ، والوفاء في الكيل والميزان ، والعدل في القول ، والوفاء

(١) المستدرك ٣١٧/٢ .

(٢) التلخيص مع المستدرك ٣١٧/٢ . والغريب أن الحافظ الذهبي يقول عن عبد الله بن خليفة : لا يكاد يعرف . (الميزان

٤١٤/٢) وتقدمت الإشارة لمثل هذه الملاحظة ص ٦ .

(٣) التسهيل ٢٥/٢ ، الارشاد ١٩٧/٣ ، الفتوحات ١٠٦/٢ ، الفاسمي ٧٨٠/٦ ، الظلال ٤٢٠/٣ ، التيسير ١٨٥/٢ .

بالعهد، واتباع شرع الله وهذه الأشياء مأمورها وليس منهاياً فبم يوجه هذا؟ .  
والقول في جواب هذا أن أهل العلم لم يغفلوا عن هذا الإشكال من حيث الظاهر  
وأجابوا بأجوبة عديدة منها :

١ - قوله تعالى : ﴿حرم ربكم﴾ معناه وصاكم به ربكم فضمن حرم معنى وصى ،  
ويؤيد هذا الفهم ما جاء في آخر الآية قال تعالى : ﴿ذلكم وصاكم به﴾ فالتحريم هنا مضمن  
معنى الوصية ، وإذا نظرت في المعنى تجد أن الوصية فيه أعم من التحريم . فكل تحريم وصية  
من الله عز وجل إلى عباده ، وليس كل وصية تحريماً ، لأنها تكون بتحريم وبتحليل ،  
وبوجوب وندب ، وليس أمراً غريباً أن يراد بالتحريم الوصية ، ومن الأساليب عند العرب ذكر  
اللفظ الخاص وإرادة العموم ، أو العكس فتذكر اللفظ العام وتريد به الخاص وبناء على  
ما تقرر فإن تقدير الكلام : قل تعالوا أتل ما وصاكم به ربكم ، ثم حصل إبدال قوله تعالى  
﴿أن لا تشركوا به شيئاً﴾ منه . وذلك على وجه البيان والتفسير . أي وصاكم أن لا تشركوا  
به شيئاً ووصاكم بالإحسان إلى الوالدين . . الخ . فجمعت الوصية ترك المحرمات وفعل  
المأمورات . وهذا التوجيه في نظري حسن جداً<sup>(١)</sup> .

٢ - أن تكون (أن) في قوله تعالى ﴿أن لا تشركوا﴾ تفسيرية لفعل النهي الدال عليه  
التحريم وفعل الأمر المحذوف ، والتقدير : أتل ما حرم عليكم وما أمركم به ، فحذف وما  
أمركم به لدلالة (ما حرم) عليه لأن معنى ما حرم ربكم ، ما ينهاكم ربكم عنه ، فالمعنى قل  
تعالوا أتل ما نهاكم ربكم عنه وما أمركم به ، ولا مانع من عطف الأمر على النهي والعكس  
ومن شواهد قول امرئ القيس : يقولون لا تهلك أساً وتجمل<sup>(٢)</sup> .

٣ - جاز ذلك لجواز عطف الأوامر على النواهي لكونها تفسيراً لها باعتبار لوازمها التي  
هي النواهي المتعلقة بأضداد ما تعلق به ، فإن الأمر بالشيء مستلزم للنهي عن ضده ، بل  
هو عينه عند البعض ، كأن الأوامر ذكرت وقصد لوازمها ، فإن عطف الأوامر على النواهي  
الواقعة بعد (إن) المفسرة لتلاوة المحرمات ، مع القطع بأن المأمور به لا يكون محرماً دليل  
واضح على أن التحريم راجع إلى الأضداد ، على الوجه المذكور<sup>(٣)</sup> .

(١) التسهيل ٢/ ٢٥ .

(٢) البحر ٤/ ٢٤٩ .

(٣) الارشاد ٣/ ١٩٨ .

## الوصية الأولى

قوله تعالى : ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً﴾<sup>(١)</sup>.

البحث اللغوي :

أ - المفردات :

قل : فعل أمر موجه إلى عبد الله ورسوله محمد ﷺ .

تعالوا : أي أقبلوا وهلموا . وهذا من الخاص الذي صار عاماً . فالأصل فيه أن يقوله من هو في مكان عالٍ لمن هو أسفل منه ، ثم كثر واتسع فيه حتى عمّ<sup>(٢)</sup> .  
أتل : من التلاوة والمراد بها القراءة .

حرم : من التحريم وهو المنع ، والحرام الشيء الممنوع منه ، ويكون المنع بأمور . إما بتسخير إلهي ، وإما بمنع قهري ، وإما بمنع من جهة العقل ، أو من جهة الشرع ، أو من جهة من يرسم أمره ، وهو في هذه الآية من جهة القهر بالمنع<sup>(٣)</sup> ، كقوله تعالى : ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة﴾<sup>(٤)</sup> .

ب - النحو :

أتل : جواب الأمر ، أي إن تأتوني أتل .

ما : في قوله تعالى ﴿ما حرم ربكم﴾ : فيها ثلاثة أقوال .

١ - أنها موصولة بمعنى الذي ، والعائد محذوف ، والتقدير : الذي حرمه ، والموصول في محل نصب مفعول به . وهذا هو الأظهر .

٢ - أنها مصدرية ، والتقدير : أتل تحريم ربكم ، والتحريم نفسه لا يتلى ، وإنما هو مصدر واقع موقع المفعول به ، والتقدير : أتل محرم ربكم الذي حرمه هو عز وجل .

٣ - أنها استفهامية في محل نصب بحرم بعدها ، وهي معلقة لأتل ، والتقدير : أتل أي شيء حرم ربكم ؟ وهذا ضعيف لأنه لا يعلق إلا أفعال القلوب وما حمل عليها<sup>(٥)</sup> .

(١) انظر الآية (١٥١) من سورة الأنعام .

(٢) الكشف ٧٨/٢ ، الإرشاد ١٩٧/٣ .

(٣) المفردات ١١٤ .

(٤) انظر الآية (٧٢) من سورة المائدة .

(٥) الفترحات ١٠٦/٢ ، ١٠٧ .

(عليكم) فيها وجهان :

١ - أن الجار والمجرور متعلق بحرم ، وهو اختيار البصريين .

٢ - أنه متعلق بأتل ، وهو اختيار الكوفيين . فالمسألة من باب الإعمال ، وقد عرف أن اختيار البصريين إعمال الثاني ، واختيار الكوفيين إعمال الأول<sup>(١)</sup> . ورجح بعض العلماء الأول قالوا : لأنه أنسب بمقام الاعتناء بإيجاب الانتهاء عن المحرمات المذكورة ، وهو السرفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم ، فإن تذكيرهم بكونه تعالى رباً لهم ، ومالكاً لأمرهم على الإطلاق من أقوى الدواعي إلى انتهائهم عما نهاهم عنه أشد انتهاء ، (وأن) في قوله تعالى ﴿أَنْ لَا تَشْرُكُوا بِهِ﴾ مفسرة لفعل التلاوة المعلق بما حرم (ولا) ناهية كما ينبىء عنه عطف ما بعده من الأوامر والنواهي عليه<sup>(٢)</sup> . وقد أطال العلماء نفس البحث في قوله تعالى ﴿أَنْ لَا تَشْرُكُوا بِهِ﴾ من الناحية النحوية وحرر كل ما ورد في ذلك سليمان بن عمر العجلي الشهير بالجمل رحمه الله<sup>(٣)</sup> .

## الإيضاح

قال تعالى : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي﴾ أمر الله عز وجل نبيه ورسوله محمداً ﷺ أن يبين للناس من المحرمات ما يقتضى الحال بيانه ، مستخدماً الأسلوب الحكيم في ذلك إيذاناً بأن حق العباد اجتناب ما حرم الله ورسوله واتباع شرع الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ إلى الأسود والأبيض فيقول لهم ﷺ : يا من حرموا ما أحل الله (تعالوا) وهو أمر من التعالى . ولا يمنع أن يحمل على الأصل تعريضاً لأولئك الذين شرعوا ما لم يأذن به الله ، بأنهم في حضيض الجهل والبعد عن المنهج السديد ، ولو استجابوا لنداء الله ورسوله لتعالوا وترفعوا إلى ذروة العلم وقمة العزة .

قوله تعالى ﴿أَنْ لَا تَشْرُكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ . هذه أولى الوصايا العشر ، وبدأ سبحانه وتعالى هذه الوصايا بتحريم الشرك لأمر ثلاثة كما ظهر لي .

١ - إن الشرك أكبر الكبائر وأعظم الذنوب قال تعالى : ﴿إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرَ أَنْ يَشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرَ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يَشْرَكَ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾<sup>(٤)</sup> وقال تعالى : ﴿إِنْ اللَّهُ

(١) الفتوحات ١٠٦/٢ ، ١٠٧ .

(٢) الإرشاد ١٩٨/٣ ، الروح ٥٤/٨ .

(٣) انظر كتابه الفتوحات ١٠٧/٢ ، ١٠٨ .

(٤) الآية (٤٨) من سورة النساء .

لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً<sup>(١)</sup> وقال تعالى ﴿... إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾<sup>(٢)</sup> وقال رسول الله ﷺ : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر - ثلاثاً - ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال الإِشراك بالله ، وعقوق الوالدين - وجلس وكان متكئاً - فقال : ألا وقول الزور<sup>(٣)</sup> . . . ) الحديث . ويلاحظ هنا أن رسول الله ﷺ قدم الإِشراك على غيره من الكبائر مما يشير إلى أنه أعظم الذنوب وأفدحها .

٢ - أن من حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ولذلك خلقهم قال تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ الآية وقال تعالى : ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾<sup>(٤)</sup> الآية . وقال رسول الله ﷺ : (يامعاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، أتدري ما حقهم عليه؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : أن لا يعذبهم)<sup>(٥)</sup> .

٣ - إن الإنسان تتحقق إنسانيته بقلبه وروحه ، ولا صلاح له إلا بصلاحهما ، ولا صلاح لهما إلا بوحداية الله عز وجل ، إله هذا المخلوق الذي أوجده من العدم ، وركب أجزائه ورباه بنعمه ، لا إله إلا هو ولا رب سواه ، قال تعالى : ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾<sup>(٦)</sup> وقال النبي الكريم : ( . . : ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسد فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب)<sup>(٧)</sup> . ولأرباب في ارتباط الروح بالقلب ، كما أن بين القلب واللسان ارتباطاً إذ هو المعبر عما في القلب . يقول الشاعر :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم<sup>(٨)</sup>

والبراءة من الشرك تتحقق بالعلم والعمل بمقتضى العلم ، فيعلم العبد أن هذه المخلوقات بجميع أنواعها بقوتها وضعفها ليس فيها ما تسكن النفس إليه ، وتنعم بالتوجه

(١) الآية (١١٦) من سورة النساء .

(٢) جزء من الآية (٧٢) من سورة المائدة .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ٢٦١/٥ .

(٤) الآية (٣٦) من سورة النحل .

(٥) صحيح البخاري مع الفتح ٣٤٧/١٣ .

(٦) الآية (١٦) من سورة ق .

(٧) صحيح البخاري مع الفتح ١٢٦/١ .

(٨) البيت لزهير بن أبي سلمى انظر ديوانه ص ٨٩ .

والاعتماد عليه، ولا يكون ذلك إلا بالله عز وجل قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾<sup>(١)</sup> الآية. ويتبع العلم العمل بما شرع الله عز وجل قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾<sup>(٢)</sup> الآية. فأعلم تعالى عباده على لسان رسوله ﷺ أنه حرم عليهم أن يشركوا به شيئاً، فشمّل ذلك كل مُشْرِك به، ومُشْرِك فيه، من أنواع العبادة، فإن قوله: (شيئاً) من النكرات فيعم جميع الأشياء، ولم يبح عز وجل لعباده أن يشركوا به شيئاً، فإن الشرك أظلم الظلم وأقبح القبائح، قال تعالى حكاية عن لقمان عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>. ولفظ الشرك يدل على أن المشركين كانوا يعبدون الله عز وجل ولكن يشركون به غيره من الأوثان والصالحين والأصنام، فكانت الدعوة واقعة على ترك عبادة ماسوى الله عز وجل، وإفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له، وكانت (لا إله إلا الله) متضمنة لهذا المعنى فدعا النبي ﷺ الأمة إلى الإقرار بها اعتقاداً ونطقاً وعملاً، قال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: (إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة. . .)<sup>(٤)</sup> الحديث. وقال ﷺ: (أمرت أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه. . .)<sup>(٥)</sup> الحديث. وكان المشركون إذا سئلوا عما يقول لهم محمد ﷺ، قالوا: يقول (اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم)<sup>(٦)</sup>. وكانوا يعلمون دلالة لا إله إلا الله، ولذلك أنكروا التوحيد قال تعالى حكاية عنهم: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾<sup>(٧)</sup> وحقيقة الشرك أن يعتقد الإنسان في بعض المخلوقات أنها تجلب نفعاً أو تدفع ضرراً بتأثير منها. وهذا البلاء عم البشرية جمعاء ولم ينبج منه إلا من رحم الله، ومن أنواع الشرك ما يقع فيه الكثيرون اليوم من الاعتقاد فيمن يعظمون من الأولياء، أن آثاراً عجيبة تصدر عنهم، يزعمون أن ذلك لم يصدر عن أحد منهم إلا لكونه متصفاً بصفة من صفات الكمال، وفاتهم أن الكمال أمر لم يعهد في جنس الإنسان، بل محله النقص فهو من لوازم العبودية ولا شك، أما الكمال فهو حق لله مختص به دون سواه وأعني بذلك الكمال المطلق،

(١) الآية (٢٢) من سورة الأنبياء.

(٢) الآية (١٩) من سورة محمد.

(٣) الآية (١٣) من سورة لقمان.

(٤) صحيح مسلم ٥٠/١.

(٥) المصدر السابق ٥١/١.

(٦) انظر جواب أبي سفيان لهرقل (الصحيح مع الفتح ٣٢/١).

(٧) الآية (٥) من سورة ص.



وهم يعنون ذلك فيمن يعظمون حين تصدر منهم أعمال غير عادية . بل زعم غلاتهم أن ذلك لا يحدث إلا لمن خلع الله عليه صفة الألوهية ، أو من يفنيه في ذاته ، تعالى عما يقولون علواً كبيراً ، وهذه عقيدة أهل وحدة الوجود خسيء أصحابها . والأمثلة على شطحات أهل هذا الاعتقاد يطول بيانها ؛ فأنواع خرافاتهم لا تكاد تحصر ولها مظانها ، ومن ذلك ما كان يعبر عنه المشركون بقولهم في حجهم : ( لبيك اللهم لبيك لا شريك لك - إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك - )<sup>(١)</sup> ويعنون شركاءهم الذين يعاملونهم معاملة العباد مع الله ، ومن أصابهم هذا الداء العضال اليوم وإن لم يكن اللفظ الوارد عن مشركي العرب في تلبيتهم ظاهراً في تلبية هؤلاء غير أنه معنى يتجلى في أعمالهم وتصرفاتهم ، والشرع لا يبحث إلا عن الأعمال والتصرفات ، التي باشرها الناس بنية تعظيم مخلوق من المخلوقات ، حتى صار ذلك العمل مظنة للشرك ولازم له في العادة ، فالأعمال ترجمة عما في القلوب ، ولازم الشيء يعطى حكمه ، وقد أقام الشرع العلل الملازمة للمصالح والمفاسد مقامها ونظراً لخطورة هذا الأمر فلا بد من التنبيه على أمور جعلها الله عز وجل في الشريعة المحمدية - على صاحبها أكمل الصلاة وأتم التسليم - مظنات للشرك فنهى عنها ، منها :

١ - منها أن المشركين كانوا يسجدون للأصنام والنجوم وغيرها من الأوثان فجاء النهي عن السجود لغير الله عز وجل قال تعالى : ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾<sup>(٢)</sup> ولم يكن الإشراف قاصراً على السجود بل يتعداه إلى التدبير لأن السجود ناشئ عن التعظيم والتعظيم ناشئ عن اعتقاد في المعظم أنه متصرف في الكون ، ولديه القدرة على التدبير ، وهذه الخطورة قد يكون منشؤها زعم بعض المتكلمين أن توحيد العبادة حكم من أحكام الله ، وهو مما يقع الخلاف فيه باختلاف الأديان لا يطلب بدليل برهاني ، وهذا ظاهر الفساد ، فلو كان الأمر كذلك ، لم يقع الإلزام من الله عز وجل بتفريده بالخلق والتدبير ، قال تعالى : ﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أما يشركون ﴾ (٥٩) أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها إلّه مع الله بل هم قوم يعدلون (٦٠) أمّن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً إلّه مع الله بل أكثرهم لا يعلمون (٦١) أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم

(١) صحيح مسلم ٨٤٣/٢ .

(٢) الآية (٣٧) من سورة فصلت .

خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكر (٦٢) آمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون (٦٣) آمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين (٦٤) ﴿١﴾ وإن من يمعن النظر في هذه الآيات يجد صواعق محرقة لأوهام الجاهلية في كل زمان ومكان ، وحجة دامغة تدك تلك الأفكار الواهية والحق أنهم اعترفوا بتوحيد الخلق والتدبير ولكن في الأمور العظام قال تعالى : ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ (٢) فالتوحيدان متلازمان ولا يجوز الفصل بينهما ، ولكنهم لا يعقلون .

٢ — أنهم كانوا يستعينون بغير الله عز وجل في حوائجهم ، من شفاء المريض ، وإغناء الفقير ، ويقدمون القرابين ويفعلون النذور ، لأنهم يتوقعون إنجاح مقاصدهم بذلك ، ويتلون أسماءهم رجاء بركتهم ، فأوجب الله عليهم أن يقولوا (إياك نعبد وإياك نستعين) في كل يوم وليلة سبع عشرة مرة ، ونهاهم عن دعوة غيره فقال : ﴿ فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ (٣) والمراد هنا عموم العبادة ، ومنها الدعاء ، ومن الدعاء الاستعانة لقوله تعالى : ﴿ بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون ﴾ (٤) .

٣ — ومنها أنهم كانوا يتخذون أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله عز وجل ، وذلك بأنهم كانوا يعتقدون أن الحلال ما أحله الرهبان ، وأن الحرام ما حرموا ، فما أباحوه لهم أخذوه ، وما حرموه عليهم امتنعوا عنه ويتجلى هذا حين نزل قوله تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ (٥) فسأل عدي بن حاتم رضي الله عنه رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : (كانوا يحلون أشياء فيستحلونها ، ويحرمون عليهم أشياء فيحرمونها) (٦) . والحكم بحلية الشيء أو بتحريمه لا يؤخذ إلا عن الله عز وجل قال تعالى : ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾ (٧) فتحديد الأشياء التي يؤخذ عليها العباد والتي لا يؤخذون عليها

(١) الآيات من سورة النمل .

(٢) الآية (٦٥) من سورة العنكبوت .

(٣) جزء من الآية (١٨) من سورة الجن .

(٤) الآية (٤١) من سورة الأنعام .

(٥) الآية (٣١) من التوبة .

(٦) انظر كلام ابن كثير وما دون عن هذا ٣٤٨/٢ .

(٧) الآية (١١٦) من النحل .

أمر خاص برب العباد، فتكوين أسباب المؤاخذة من عدمها له وحده، ورسم الحدود وتشريع الأوامر والنواهي في كل شأن من صفاته تعالى، قال عز وجل: ﴿قل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل الله أذن لكم أم على الله تفترون﴾<sup>(١)</sup>. أما نسبة التحليل والتحريم إلى النبي ﷺ فبمعنى أن قوله ﷺ أمانة قطعية تدل على تحليل الله وتحريمه، إذ هو المبلغ عن الله عز وجل قال تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾<sup>(٢)</sup> وهو الصادق الأمين ﷺ قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾<sup>(٣)</sup> ونسبة التحليل والتحريم إلى العلماء المجتهدين من أمته ﷺ تكون بمعنى روايتهم ذلك عن الشرع، وأخذ الحكم من نص الشارع الحكيم، أو استنباطه من كلامه ﷺ. وما يجب التنبيه إليه أن الله عز وجل إذا بعث رسولاً، وأيد صدقه بالمعجزات والآيات البينات، وأحل على لسانه بعض ما كان محرماً عند قوم. وحصل من بعض الناس تردد وإحجام عن قبول ما أحل، وأصبحت نفسه تميل إلى التحريم، لما كان عليه من الحرمة فلا يخلو هذا المتردد من أحد أمرين:

**الأول:** أن يكون ما حصل منه تردداً في ثبوت هذه الشريعة فهو كافر بالنبي ﷺ قال تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾<sup>(٤)</sup>.

**الثاني:** أن يكون صدور ذلك منه لاعتقاد وقوع التحريم الأول تحريماً لا يحتمل النسخ، لأنه يعتقد أن الذي حرم ذلك، قد خلع الله عليه خلعة الألوهية، أو صار فانياً في الله عز وجل، أو غير ذلك من الاعتقادات الباطلة، فذلك مشرك بالله عز وجل. إذ أشرك مع الله غيره في هذا الأمر، وأثبت للغير غضباً ورضاً مقدسين، وتحليلاً وتحريماً مقدسين. وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

٤ - أنهم كانوا يتقربون إلى الأصنام والنجوم، إما بإهلال بأسمائهم عند الذبح، وإما بالذبح على الأنصاب المخصصة لهم، فحرم الله عز وجل ذلك قال تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما

(١) الآية (٥٩) من يونس.

(٢) الآية (٧) من سورة الحشر.

(٣) الآيتان (٤، ٣) من سورة النجم.

(٤) الآية (٦٥) النساء.

أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب ﴿١﴾ الآية وقال ﷺ : (لعن الله من ذبح لغير الله) (٢).

٥ — إنهم كانوا يسمون السوائب (٣) والبحائر (٤) تقريباً إلى شركائهم فحرم الله عز وجل ذلك فقال : ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة﴾ (٥) الآية .

٦ — وكانوا يعتقدون في أناس أن أسماهم مباركة ومعظمة، ويعتقدون أن الحلف بأسمائهم على الكذب يستوجب نقصاً في المال والأهل، فلا يقدمون على ذلك، ولذلك كانوا يستحلفون الخصوم بأسماء الشركاء بزعمهم، فحرم رسول الله ﷺ ذلك، أخرج الإمام النسائي رحمه الله بسنده من طريق مصعب بن سعد قال : (كنا نذكر بعض الأمر وأنا حديث عهد بالجاهلية فحلفت باللاتي والعزى، فقال لي أصحاب رسول الله ﷺ : بشئ ما قلت، أئت رسول الله ﷺ فأخبره فإننا لا نراك إلا قد كفرت، فأتيته فأخبرته فقال لي : قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له ثلاث مرات، وتعوذ بالله من الشيطان ثلاث مرات، وانفل عن يسارك ثلاث مرات، ولا تعد له) (٦) لما تعاطى الصحابي في قسمه صورة تعظيم الصنم حيث حلف به، أنكر عليه الأصحاب رضي الله عنهم ولما كان ذلك القول يتعلق بالإيمان ظنوه كفراً، ولا ريب أنه رضي الله عنه لم يقصد التعظيم للصنم غير أن قوله ذلك يتعلق بالاعتقاد فكان الإصلاح من النوع الذي يتعلق بالاعتقاد أيضاً، فوجهه المصطفى ﷺ إلى قول لا إله إلا الله، فإنها إصلاح لما قد يחדش الإيمان، مما يجري على اللسان من غير قصد، كقول هذا الصحابي رضي الله عنه، وينقل الحافظ عن العلماء أنهم قالوا : يستحب أن يقول لا إله إلا الله (٧). وفي نظري أن ما وجه إليه الرسول ﷺ من باب الوجوب لا الاستحباب إذا صارف يصرفه عن ذلك، فقول لا إله إلا الله هنا يقوم مقام الكفارة إلا أنها تجدد الوحدانية وتصلح سبق اللسان الذي قد يחדش الاعتقاد، ولذلك قال ﷺ : (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) (٨) وقلنا إن الصحابي رضي الله عنه ما قصد ذلك لكونه حديث عهد بجاهلية، لكنه شرك في اللفظ دون الاعتقاد، أما من تعمد ذلك فلا يُشك في كفره .

(١) الآية (٣) من المائدة.

(٢) صحيح مسلم ١٥٦٧/٣ .

(٣) جمع سائبة وهي الناقة كانت تسبب إذا ولدت عشر إناث تركت انظر (الصحيح ١/٦٣٤).

(٤) جمع بحيرة وهي بنت السائبة تشق أذننها وتترك (الصحيح ١/٧٢).

(٥) الآية (٣١) من التوبة .

(٦) سنن النسائي ٧/٧، ٨ .

(٧) فتح الباري ١١/٥٣٦ .

(٨) سنن الترمذي ٤/١١٠ .

٧ - ومن ذلك قصد مواضع مختصة بشركائهم للتبرك بها، ويكون الحلول بها تقرباً منهم فحرم النبي ﷺ ذلك. قال ﷺ: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) فشد الرحال بقصد العبادة إلى غير هذه المساجد الثلاثة خروج عن الشرع، وإحياء لأمر الجاهلية التي حرمها الإسلام، وما يفعله كثير من المسلمين اليوم عند قبور الأولياء أمر منكر، ومصادم لما شرع رسول الله ﷺ.

٨ - كانوا يسمون أبناءهم عبد العزى وعبد شمس وغير ذلك من الأسماء المشعرة بالعبودية لغير الله عز وجل فأنكر الله عز وجل ذلك وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيفاً فَمَرَّتَ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهَا لَنْ أَنْتِنَا صَالِحاً لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(١)</sup> ولا يظن بآدم وحواء أنها أشركا بالله عز وجل، لعصمة آدم عليه السلام ولا سيما بعد قصته مع إبليس لعنه الله، والأثر الوارد من طريق الحسن، عن سمرة بن جندب في ذلك، رده الحافظ ابن كثير رحمه من وجوه:

الأول: أنه من رواية عمر بن إبراهيم البصري<sup>(٢)</sup> وثقة ابن معين<sup>(٣)</sup> وقال فيه أبو حاتم الرازي: لا يحتج به<sup>(٤)</sup>.

الثاني: أنه ورد من قول سمرة نفسه ليس مرفوعاً. أخرجه ابن جرير في تفسيره<sup>(٥)</sup>.

الثالث: أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعاً لما عدل عنه<sup>(٦)</sup>.

قال ابن جرير رحمه الله: حدثنا ابن وكيع<sup>(٧)</sup> قال: حدثنا سهل بن يوسف<sup>(٨)</sup>، عن عمرو<sup>(٩)</sup>، عن الحسن<sup>(١٠)</sup> (جعلوا له شركاء فيما آتاهما)<sup>(١١)</sup> قال: كان هذا في بعض أهل الملل، ولم يكن بآدم.

(١) الآيتان (١٨٩، ١٩٠) من الأعراف.

(٢) انظر ترجمته (الجرح ٩٨/٦).

(٣) انظر (رواية الدارمي ص ٥٠ رقم ٤١).

(٤) انظر (الجرح ٩٨/٦).

(٥) الطبري ٩٩/٩.

(٦) ابن كثير ٢٧٤/٢.

(٧) سفيان، أسقط حديثه، وتقدم الكلام فيه.

(٨) الأنباطي، ثقة، روي بالقدر، مات سنة تسعين ومائة.

(٩) ابن عبيد بن باب، التميمي، معتزلي، كان داعية، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة.

(١٠) ابن أبي الحسن، البصري، ثقة، معروف، مات سنة عشر ومائة.

(١١) انظر الآية (١٩٠) من الأعراف.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى<sup>(١)</sup> قال: حدثنا محمد بن ثور<sup>(٢)</sup>، عن معمر<sup>(٣)</sup> قال: قال الحسن: عني بها ذرية آدم من أشرك منهم بعده.

حدثنا بشر بن معاذ<sup>(٤)</sup> قال: حدثنا يزيد<sup>(٥)</sup> قال: حدثنا سعيد<sup>(٦)</sup>، عن قتادة<sup>(٧)</sup> قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصروا<sup>(٨)</sup>.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه، أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير، وأولى ما حملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث<sup>(٩)</sup> عنده محفوظاً عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره، ولا سيما مع تقواه لله وورعه، فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي<sup>(١٠)</sup>، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب، من آمن منهم، مثل كعب<sup>(١١)</sup>، أو وهب بن منبه<sup>(١٢)</sup> وغيرهما<sup>(١٣)</sup>.

وقد علم مما سبق أن الأثر المروي في تفسير الآية لا يصح الاحتجاج به<sup>(١٤)</sup> وقد ذكره صاحب تيسير العزيز الحميد<sup>(١٥)</sup> تفسيراً للآية فلا يصار إليه والحق في ذلك ما ثبت عن الحسن نفسه كما تقدم بيانه. والآية تدل على تحريم اتخاذ الشركاء. ولم يسلم من هذا بعض المسلمين اليوم. فما أكثر من سمى عبد الولي وعبد الرسول وغير ذلك. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ في أكثر من حديث أنه غير بعض أسماء أصحابه التي تشعر بالعبودية لغير الله عز وجل أو فيها قبح، وفيما تقدم ذكر صور وأشكال للشرك حرمها الشرع فيجب على المسلم أن يحذرهما وأن يحذر منها وعند تدقيق النظر فيما سلف يتبين أن المشركين طوائف كثيرة وكثيرة

(١) الصنعاني، ثقة، مات سنة خمس وأربعين ومائتين.

(٢) الصنعاني، ثقة، مات سنة تسعين ومائة تقريباً.

(٣) ابن راشد، ثقة، ثبت، مات سنة أربع وخمسين ومائة.

(٤) أبو سهل، العقدي، صدوق، مات سنة بضع وأربعين ومائتين.

(٥) ابن زريع، البصري، ثقة، ثبت، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

(٦) ابن أبي عروبة، ثقة، حافظ، له تصانيف، من أثبت الناس في قتادة.

(٧) ابن دعام، رأس الطبقة الرابعة، ثقة، ثبت، مات سنة بضع عشرة ومائة.

(٨) الطبري ١٠٠/٩ - ١٠١.

(٩) ما ذكر في تفسير الآية. أنه كان لا يعيش لأدم وامراته ولد... الخ.

(١٠) سمرة بن جندب رضي الله عنه.

(١١، ١٢) كعب الأحبار تقدم وهو الذي بعده كانوا من علماء اليهود فأسلموا.

(١٣) ابن كثير ٢/٢٧٥.

(١٤) للراغب في زيادة الاطلاع ينظر (تحفة الأحوزي ٨/٤٦٠ - ٤٦٦، ابن كثير ٢/٢٧٤، ٢٧٥).

(١٥) انظر ص ٦٢٨ وما بعدها. وقد أخرج الأثر الترمذي وقال: حسن غريب. (الجامع ٥/٢٦٧).

جداً، تعددت بتعدد الأسباب والوسائل المؤدية إلى ذلك وقد ذكر الفخر الرازي رحمه الله أربع طوائف منهم :

١ - طائفة يجعلون الأصنام شركاء لله عز وجل ، وإليهم الإشارة بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه أزرأت اتخذ أصناماً آلهة إنى أراك وقومك في ضلال مبين ﴾ (١).

٢ - طائفة يعبدون الكواكب وهم الذين حكى الله عنهم أن إبراهيم عليه السلام أبطل قولهم بقوله : ( لا أحب الآفلين ) (٢).

٣ - طائفة حكى الله عنهم أنهم جعلوا لله شركاء الجن قال تعالى : ﴿ وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم ﴾ (٣).

٤ - طائفة جعلوا لله عز وجل بنين وبنات . وأقام عز وجل الدليل على فساد أقوال هؤلاء (٤). وإذا نظرنا إلى الشرك بالنسبة إلى أقسام التوحيد نجد أن الشرك ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، وكل منها قد يكون أكبر وأصغر مطلقاً ، وقد يكون أكبر بالنسبة إلى ما هو أصغر منه ، وقد يكون أصغر بالنسبة إلى ما هو أكبر منه . وبيان ذلك فيما يلي :

### القسم الأول الشرك في الربوبية وهو نوعان :

١ - شرك التعطيل ، وهو أقبح أنواع الشرك . وهو إنكار لوجود الله عز وجل ، ومن يمارس هذا الذنب العظيم الدهريون ، والطبائعيون ، وإمامهم فيه فرعون هو سابقهم إلى هذا الاتحاد إذ قال : ﴿ وما رب العالمين ﴾ (٥). ومن هذا النوع شرك الفلاسفة ، القائلين بقدوم العالم وأبديته ، وأنه لم يكن معدوماً أصلاً ، بل لم يزل ولا يزال ، والمخلوقات عندهم جميعاً ترجع إلى أسباب ووسائل ، اقتضت إيجادها ، يسمونها العقول والنفوس (٦) ، ومنه أيضاً شرك طائفة وحدة الوجود ، مثل ابن عربي (٧) ، وابن سبعين (٨). والعفيف

(١) الآية (٧٤) من الأنعام .

(٢) الآية (٧٦) من الأنعام .

(٣) الآية (١٠٠) من الأنعام .

(٤) الرازي ٢٢٢/١٣ .

(٥) انظر الآية (٢٣) من الشعراء .

(٦) هذا مبني على مذهب الفلاسفة أن العقول والنفوس العلكية عالمة بجميع الأشياء (الذخيرة ص ٢٠٧).

(٧) محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله ، الطائي ، الحائمي ، لقبه محي الدين ، وكنيته أبو بكر ، وشهرته ابن عربي ، ويقال له الشيخ الأكبر ، ولد في السابع عشر من رمضان سنة ستين وخمسة ، (٥٦٠ هـ) من غلاة الصوفية ، وأحد القائلين بوحدة الوجود . انظر (النفاذ والزندقة ص ١١١) .

(٨) عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين ، ولد في سنة أربع عشرة وستائة (٦١٤ هـ) عرف السيمياء ولبس بها =

النعمان<sup>(١)</sup>، وابن الفارض<sup>(٢)</sup>، وغيرهم من أهل الزيغ والإلحاد، الذين ألبسوه حلية الإسلام، ومزجوه بشيء من الحق، حتى راج سوقهم ونفقت بضاعتهم، واغتر بها جهلاؤهم وعوامهم، ومن ذلك أيضاً شرك من عطل أسماء الرب عز وجل، وهم غلاة الجهمية<sup>(٣)</sup>، والقرامطة<sup>(٤)</sup>.

٢ - شرك من جعل مع الله إلهاً آخر ولم يعطل أسماء وصفاته وربوبيته، ومنه شرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة قال الله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾<sup>(٥)</sup> ومنه شرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور، وحوادث الشر إلى الظلمة، ومنه أيضاً شرك الذين يرون أن للكواكب والنجوم تدبيراً لأمر الكون أو زيادة الرزق أو نقصانه، والنجوم خلق من خلق الله لا يجوز أن يعتقد أحد أنها تنفع وتضر من دون الله، ولذلك أقسم الله بها لصرف الأنظار إلى تدبير عظمة خالقها عز وجل وتدبيره أمرها. قال تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾<sup>(٦)</sup> وقال تعالى: ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾<sup>(٧)</sup> فأخبر عز وجل بسجود جنس النجم له عز وجل، ولم تخلق النجوم لتعبد وإنما خلقت لأمر ثلاثة:

الأول: زينة للسماء قال تعالى: ﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾<sup>(٨)</sup> وقال عز

= على الأغبياء، صنف في الإلحاد، وله فيه وفي الزندقة كلام كثير، ومن سيء قوله، لقد كذب ابن أبي كبشة على نفسه حيث قال: لانيبي بعدي - يعني رسول الله ﷺ - وقوله: لقد تحجر ابن أمية واسعاً بقول: لانيبي بعدي. انظر (النفاق والزندقة ص ١٢٠).

(١) أبو الربيع، سليمان بن علي بن عبد الله بن علي العبادي، الكوفي ثم التلمساني، أحد زنادقة الصوفية، ومن عظماء القائلين بالوحدة المطلقة، ومن سيء قوله: القرآن ليس فيه توحيد، بل كله شرك، ومن اتبع القرآن لم يصل إلى التوحيد، وكان يقول: نكاح الأم والبنت، والأجنبية واحد - بمعنى أنه لا فرق بين ذات المحرم وغيرها - وإنها هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام علينا. فقلنا: حرام عليكم. انظر (النفاق والزندقة ص ١٣٢).

(٢) عمر بن علي، ولد سنة ست وسبعين وخمسة (٥٧٦هـ) أحد القائلين بوحدة الوجود. قال عنه الذهبي رحمه الله: ينطق بالإلحاد الصريح. له افتراءات وضلال يتوهم بحملها، ويؤيد بإثمتها. انظر (النفاق والزندقة ص ١٢٣).

(٣) أتباع الضال المتدفع أبي حمز جهم بن صفوان الراسني، زرع شراً عظيماً، وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمد، وقتله سالم بن أحوز المارني بمرور، في آخر ملك بني أمية، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء. انظر (الفرق بين الفرق ص ٢١١، والملل والنحل ١/ ١٠٩).

(٤) فرقة من غلاة الشيعة يستحلون أموال المسلمين ومداهم وهم أتباع أبي سعيد الحسن بن بهرام الجناي، وظهرت هذه الفرقة في جمادى الآخرة من سنة ست وثلاثين ومائتين وتوالى شرها على المسلمين. انظر (البداية والنهاية ٨١/ ١١) ومابعداها.

(٥) الآية (٧٣) من المائدة.

(٦) الآية (٧٥) من الواقعة.

(٧) الآية (٦) من الرحمن.

(٨) الآية (٦) من الصافات.



وجل: ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح﴾<sup>(١)</sup> وقال عز وجل: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح﴾<sup>(٢)</sup> وقال تعالى: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين﴾<sup>(٣)</sup>.

الثاني: رجوماً للشياطين. قال تعالى: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين﴾<sup>(٤)</sup> وقال تعالى: ﴿يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران﴾<sup>(٥)</sup> وقال تعالى: ﴿فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً﴾<sup>(٦)</sup>.

الثالث: علامات يهتدى بها. قال تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾<sup>(٧)</sup> الآية وقال تعالى: ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾<sup>(٨)</sup> وقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه تعليقاً قال: وقال قتادة: . . . خلق هذه النجوم لثلاث، جعلها زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به<sup>(٩)</sup>. فعجباً لمن يعتقد في النجوم أو ينسب إليها شيئاً من أسباب الخير، أو دوافع الشر، بعد هذا البيان المنزل في أشرف الكتب على أصدق الخلق وأكرم الرسل ﷺ، ومن هذا القسم أيضاً شرك غلاة عباد القبور الذين يزعمون أن أرواح الأولياء تتصرف في قضاء الحاجات بعد الموت، فيفرجون الكريات، ويحلبون الخير ويدفعون الشر، وينصرون من دعاهم ويحفظون من اعتصم بهم ولجأ إليهم وهؤلاء أشركوا في الفعل مع الله غيره، ولا ريب أن هذه من خصائص الربوبية، وكم من هالك في هذا الباب من المسلمين اليوم إذا لم تدرکہم هداية الله، ويتحصنوا بالتوبة الصادقة ويلجأوا إلى كتاب الله وسنة رسوله لاستقاء عقيدتهم وتنقية ماعلق بصدورهم.

القسم الثاني: الشرك في توحيد الأسماء والصفات وهو نوعان:

١ - تشبيه صفات الخالق بالمخلوق، كأن يقول: يد كيدي، وسمع كسمعي، وبصر كبصري، واستواء كاستوائي، وهذا يسمى شرك الشبه، وهذا النوع ينافي قول الله عز وجل

(١) الآية (١٢) من فصلت.

(٢) الآية (٥) من الملك.

(٣) الآية (١٦) من الحجر.

(٤) الآية (٥) من الملك.

(٥) الآية (٣٥) من الرحمن.

(٦) جزء من الآية (٩) من الجن.

(٧) الآية (٩٧) من الأنعام.

(٨) الآية (١٦) من النحل.

(٩) (الصحيح مع الفتح ٦/٢٩٥).

﴿فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾<sup>(٢)</sup> .

٢ - اشتقاق أسماء الآلهة الباطلة من أسماء الإله الحق ، كاشتقاق اللات من الإله ، والعزى من العزيز ، وهذا ما نهى الله عنه في قوله عز وجل ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾<sup>(٣)</sup> . ومن فسر الإلحاد في أسماء الله بالاشتقاق ابن عباس رضي الله عنه . وقال به قتادة رحمه الله<sup>(٤)</sup> .

### القسم الثالث : الشرك في توحيد الألوهية والعبادة :

هذا القسم هو الشرك الأعظم وهو شرك الجاهلية وهو نوعان :

١ - أن يجعل العبد لله نداً يدعو كما يدعو الله عز وجل ، ويسأله الشفاعة كما يسأل الله تعالى ، ويرجوه كما يرجو الله تعالى ، ويحبه كما يحب الله تعالى ، ويخشاه كما يخشى الله عز وجل ، وجملة القول أنه جعل له إلهاً آخر يعبد كما يعبد الله ، فهذا شرك أكبر وهو الذي قال الله عز وجل فيه : ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾<sup>(٥)</sup> . وقال تعالى : ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾<sup>(٦)</sup> وقال تعالى : ﴿ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾<sup>(٧)</sup> الآية وقال تعالى : ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً﴾<sup>(٨)</sup> والآيات في هذا المقام كثيرة ولا ريب أن الحجة قائمة على العباد ولو لم يحرم الله ذلك إلا بآية واحدة ، فكيف وقد تعددت فيه أدلة التحريم كتاباً وسنة .

٢ - الشرك الأصغر ، كيسير الرياء ، والتصنع للمخلوق ، وعدم الإخلاص لله عز وجل في العبادة ، بل يعمل العبد لحظ نفسه تارة ، ولطلب الدنيا تارة ، فله من عمله نصيب ولغيره منه نصيب ، والله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً ، وذكر الإخلاص في كتابه أكثر من عشرين مرة ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه

(١) الآية (٧٤) من النحل .

(٢) الآية (١١) من الشورى .

(٣) الآية (١٨٠) من الأعراف .

(٤) ابن كثير ٢/ ٢٦٩ .

(٥) الآية (٣٦) من النساء .

(٦) الآية (٣٧) من النحل .

(٧) الآية (١٨) من يونس .

(٨) الآية (٤٨) من النساء .

مخلصين له الدين ﴿١﴾ الآية وقوله تعالى : ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ ﴿٢﴾ الآية .

ويتبع هذا النوع الشرك بالله عز وجل في الألفاظ كالحلف بغير الله عز وجل ، وقول ما شاء الله وشئت ، ومالي إلا الله وأنت ، وأنا في حسب الله وحسبك ، وقد يفضى ذلك إلى الشرك الأكبر بحسب حال قائله ومقصده ، والأحاديث الواردة في النهي عن الشرك وبيان أنه أعظم الذنوب كثيرة منها حديث الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال : ( قال رسول الله ﷺ : أتاني جبريل فبشرني أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق . قلت : وإن زنى وإن سرق ، قال : وإن زنى وإن سرق . قلت : وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر ؟ قال : وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر ) (٣) . وفي بعض الروايات أن الذي قال ذلك لرسول الله ﷺ أبو ذر ، وأنه عليه الصلاة والسلام قال في الثالثة : ( وإن رغم أنف أبي ذر ) فكان أبو ذر يقول بعد تمام الحديث : ( وإن رغم أنف أبي ذر ) (٤) وأخرج الإمام البخاري بسنده من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : ( من مات وهو يدعو لنداء دخل النار ) (٥) وأخرج الإمام مسلم رحمه الله من حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ( من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار ) (٦) . قال عبد الله بن الإمام أحمد (٧) : حدثني أبي (٨) ، ثنا عفان (٩) ، ثنا همام (١٠) ، ثنا عامر الأحول (١١) ، عن شهر بن حوشب (١٢) عن عمرو بن معد يكرب (١٣) عن أبي ذر ، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل وجل أنه

(١) الآية (٢٩) من الأعراف .

(٢) الآية (٥) من البينة .

(٣) انظر (صحيح مسلم ٩٤/١) .

(٤) انظر (صحيح البخاري مع الفتح ٣٦٠-٣٦١) وقد اختصره في أكثر من موضع .

(٥) انظر (المصدر السابق ١٧٦/٨) .

(٦) صحيح مسلم ٩٤/١ .

(٧) أبو عبد الرحمن ، ثقة ، مات سنة تسعين ومائتين .

(٨) رابع الأئمة ، أحمد بن حنبل ، ثقة ، فقيه حجة ، مات سنة إحدى وأربعين ومائتين .

(٩) ابن مسلم ، الباهلي ، ثقة ، كان إذا شك في حرف من الحديث تركه .

(١٠) ابن يحيى ، العوذى ، ثقة ربما وهم ، مات سنة خمس وستين ومائة ، أوقبلها .

(١١) صدوق يخطي ، روى عن الصحابي عائذ بن عمرو المزني ، ولم يدركه .

(١٢) صدوق كثير الإرسال والأوهام - لم يدرك عمرو بن معدى كرب - مات سنة اثنتي عشرة ومائة ، وعمرو في عهد عثمان .

(١٣) سقط اسم عمرو من المسند وتصحيحه من الدارمي ٣٢٢/٢ ، وهو الزبيدي ، الفارس المشهور ، قدم على رسول الله ﷺ

في وفد زبيد ، فأسلم . انظر ترجمته (في الإصابة مع الاستيعاب ١٤٤/٧) .

قال: (يا ابن آدم إنك مادعوتني ورجوتني، فإني سأغفر لك ما كان فيك، ولو لقيتني بقرب) (١) الأرض خطاياا للقيتك بقربها مغفرة ولو عملت من الخطايا حتى تبلغ عنان (٢) السماء ما لم تشرك بي شيئاً، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي) (٣).

ويؤيد هذا من كتاب الله عز وجل قوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾ (٤). وقوله تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ (٥). وقوله عز وجل: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (٦) الآية. وفيما تقدم بيانه حول هذه الوصية كفاية وغنية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

## الأحكام

١ - إن المتأمل للأمر الموجه من المولى عز وجل إلى عبده ورسوله محمد ﷺ يتضح له أن الله عز وجل كلف رسوله ﷺ بدعوة العباد إلى مافيه صلاحهم وفلاحهم ومن ذلك سماعهم لأحكام الله عز وجل وتنفيذها في عباداتهم ومعاملاتهم وفق ما شرع الله. وهذا الذي كلف به رسوله ﷺ يكلف به المصلحون من أمته ومن سار على نهجه فيجب على من بعده من العلماء أن يبلغوا الناس شريعة الله عز وجل، وأن يبينوا لهم ما حرم الله عليهم وما أحل لهم. قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ (٧) وقال تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ (٨).

٢ - أن الشرك حرام وأنه أعظم الذنوب عند الله عز وجل وقد تقدم البيان.

٣ - أن التوحيد لا يتحقق إلا بنفي ضده وهو الشرك.

(١) مصدر قارب، أي بها يقارب ملأها. (النهاية ٤/٣٤).

(٢) بالفتح: هو السحاب، الواحدة عنانة (النهاية ٣/٣١٣).

(٣) المسند ٥/١٧٢ وأخرجه البخاري بسنده من طريق شهرية (الإمامي ٢/٣٢٢). وهو منقطع بين شهر وعمر ولكنه يتأيد بها

أسلفنا من الآيات من كتاب الله العزيز ولا مطلب للصحة بعده.

(٤) الآية (٥٣) من الزمر.

(٥) الآية (١٣٥) من آل عمران.

(٦) الآية (٤٨) من النساء.

(٧) الآية (٢١) من الأحزاب.

(٨) الآية (١٠٨) من يوسف.

ومما تجب الإشارة إليه هنا أنني استفدت التقسيمات التي مرت من كتاب تيسير العزيز الحميد<sup>(١)</sup> وحرصت على تدوينها منه لما فيها من فائدة عظيمة وبيان في غاية الوضوح فجزي الله مؤلفه العفو والمغفرة والرحمة الواسعة.

## الوصية الثانية

قوله تعالى: ﴿وبالوالدين إحساناً﴾<sup>(٢)</sup>.

### المناسبة :

لعل المتأمل في الآيات الكريمة يظهر له أن أعظم الحقوق على الإنسان حق الله عز وجل، ويتمثل في عبادته وحده لا شريك له، وتنفيذ شرعه المبلغ على لسان عبده ورسوله محمد ﷺ وهذا لا شك أنه أمر جلي وواضح، فأعظم النعمعمة العبودية لله وحده لا شريك له، والله عز وجل هو المؤثر الحقيقي في وجود هذا الإنسان واصطفائه وتكريمه على سائر المخلوقات. ويتلوح حق الله ونعمته في العظمة حق الوالدين فقد جعلهما الله سبباً لوجود الولد، وإذا كان الله عز وجل أنعم على العبد ورباه بجميع نعمه فقد سخر الوالدين لخدمته وتربيته ورعايته، ولهما من فضل الشفقة والحفظ من الضياع والهلاك في وقت الصغر ما لا يقدر قدره إلا الله عز وجل لذلك ثنى الله عز وجل بهذا التكليف تكريماً للوالدين، وتنوياً بأن حقهما أعظم الحقوق بعد حق الله عز وجل<sup>(٣)</sup>، ولذلك قرن شكره تعالى بشكرهما قال تعالى: ﴿أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير﴾<sup>(٤)</sup>.

### البحث اللغوي :

أ - في النحو: قوله: (إحساناً) نصب على المصدرية، وناصبه فعل مضمر من لفظه تقديره: وأحسنوا إحساناً.

ب - في المفردات: إحساناً: من أحسن وهو أعم أعمال الخير، قال الراغب رحمه الله: الإحسان فوق العدل، وذلك أن العدل هو أن يعطي ماعليه ويأخذ ماله، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له.

(١) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٤٣-٤٥.

(٢) الآية (٨٣) من البقرة.

(٣) أستفيد هذا التوجيه من الفخر الرازي رحمه الله ١٣/٢٣٢.

(٤) الآية (١٤) من لقمان.

## الإيضاح

قال تعالى : ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ المعنى أن مما وصّى الله به عباده الإحسان إلى الوالدين إحساناً تاماً، لا يدخرون فيه وسعاً، والأمر بالإحسان إلى الوالدين جاء في أكثر من آية منها قوله تعالى : ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً﴾ (١) الآية وقال تعالى : ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً﴾ (٢) الآية وقال تعالى : ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾ (٣) الآية وقال تعالى : ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً﴾ (٤) الآية. ولاريب أن هذا التوكيد المستمر يدل على أن الإحسان إلى الوالدين من أوجب الواجبات في الشريعة الإسلامية وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، وهو يستلزم ترك الإساءة وإن قلت وتضاءلت، فيكون النهي عن العقوق لازماً بالأولى، فإنه من المحرم ومن أكبر الكبائر عند الله عز وجل قال رسول الله ﷺ : (ألا أخبر بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين) (٥). لذا أكد الكتاب والسنة على الإحسان إلى الوالدين. قال العلماء: إن (أحسن) يتعدى (بالباء، ويألى) فيقال: أحسن به، وأحسن إليه، والأول أبلغ ولذلك قال تعالى : ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ ولم يقل وأحسن إلى الوالدين، فالإحسان بالوالدين وذوي القربى أليق، لأن من أحسنت به هو من يتصل به برك وحسن معاملتك ويلتصق به مباشرة على مقربة منك وعدم انفصال عنك.

أما من أحسنت إليه، فهو الذي تسدي إليه برك، ولو على بعد أو بالواسطة، إذ هو شيء يساق إليه سوقاً، وقالوا: إن هذه التعدية لم ترد إلا في تعبيرين في مقامين:

١ — التعبير بالفعل حكاية عن يوسف عليه السلام وهو قوله لأبيه وإخوته : ﴿هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً وقد أحسن بي إذا أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو﴾ (٦).

٢ — التعبير بالمصدر المفيد للتوكيد والمبالغة في مقام الإحسان بالوالدين جاء ذلك في

(١) الآية (٨٣) من البقرة.

(٢) الآية (٣٦) من النساء.

(٣) الآية (٢٣) من الاسراء.

(٤) الآية (١٥) من الأحقاف.

(٥) صحيح البخاري مع الفتح ٦٦/١١.

(٦) الآية (١٠٠) من يوسف.

أربع سور البقرة والنساء وقد عطف فيهما ذوى القربى على الوالدين بالتبع قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (١) الآية وفي النساء قوله تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (٢) الآية . وفي الأنعام التي نحن بصدد الكلام عنها ، وفي الأحقاف (٣) هذا البيان اهتمام الكتاب العزيز بشأن الوالدين وإلا لولم يرد فيه إلا قوله تعالى ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ دون توكيد لكفى في الدلالة على عظم عناية الشرع بأمر الوالدين بما تدل عليه الصيغة والتعديدية ، فكيف وقد قرنه بعبادته ، وجعله ثانيهما في الوصايا ، وأكدته في سورة الإسراء (٤) ، كما قرن شكرهما بشكره في سورة لقمان (٥) والأمر بالإحسان إلى الوالدين عام يشمل الأبوين المسلمين ، والكافرين إلا إن أمرا بمعصية فلا طاعة لهما قال تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَسَنًا وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ (٦) الآية . وقال تعالى : ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ (٧) الآية . فالآيتان ظاهرتان في عدم طاعة الوالدين في معصية الله وهما أمرتان ببر الوالدين ولو كانا كافرين ، يوضح هذا سبب نزول الآيات قال الواحدي (٨) رحمه الله تعالى : قال المفسرون : نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وذلك أنه لما أسلم قالت له أمه حمنة : (ياسعد بلغني أنك صبوت ، فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح (٩) والريح ، ولا آكل ولا أشرب ، حتى تكفر بمحمد ، وترجع إلى ما كنت عليه) . وكان أحب ولدها إليها ، فأبى سعد رضي الله عنه ، وصبرت هي ثلاثة أيام لم تأكل ولم تشرب ، ولم تستظل بظل ، حتى خشى عليها ، فأتى سعد النبي ﷺ وشكا ذلك إليه ، فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي في لقمان والأحقاف (١٠) ، وساق الواحدي رحمه الله القصة بسنده (١١) من طريق أبي

(١) الآية (٨٣) من البقرة .

(٢) الآية (٣٦) من النساء .

(٣) الآية (١٥) .

(٤) الآية (٢٣) .

(٥) الآية (١٤) .

(٦) الآية (٨) من العنكبوت .

(٧) الآية (١٥) من لقمان .

(٨) أبو الحسن على بن أحمد الواحدي .

(٩) الشمس .

(١٠) الآية (١٥) .

(١١) أسباب النزول ص ٣٥٦ .

يعلى<sup>(١)</sup> قال حدثنا أبو خيثمة . وهوزهير بن حرب شيخ الإمام مسلم الذي أخرج القصة أيضاً عنه بسنده عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في... . القصة<sup>(٢)</sup> . وجاء في رواية أن سعداً رضي الله عنه قال لأمه: لا تفعلني يا أمه، فإني لا أدع ديني هذا شيء، قال فمكثت يوماً وليلة لا تأكل، فأصبحت وقد اشتد جهدها، قال فلما رأيت ذلك قلت: تعلمين والله يا أمه، لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً، ما تركت ديني هذا شيء، إن شئت فكلي، وإن شئت فلا تأكلي، فلما رأت ذلك أكلت<sup>(٣)</sup> .

هذه القصة الثابتة في سبب نزول الآية تؤكد أن طاعة الوالدين الكافرين واجبة في المعروف قال الحافظ ابن حجر رحمه الله بعد أن ذكر سبب النزول: اقتضت الآية الوصية بالوالدين، والأمر بطاعتها، ولو كانا كافرين، إلا إذا أمرا بالشرك - أو بمعصية - فتجب معصيتهما في ذلك، ففي الآية بيان ما أجمل في غيرها<sup>(٤)</sup>، وقد جاء في كتاب الله عز وجل ما قد يفهم منه معارضة لقوله تعالى: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ لاسيما إذا كان الوالدان كافرين، وذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾<sup>(٥)</sup> الآية فالنص على الآباء في الآية مشعر بوجوب عدم المادة للأبوين الكافرين، قال الشيخ محمد الأمين رحمه الله جواباً عن هذا الأمر: الذي يظهر لي والله تعالى أعلم: أنه لا معارضة بين الآيتين، ووجه الجمع بينهما أن المصاحبة بالمعروف أعم من المادة، لأن الإنسان يمكنه إسداء المعروف لمن يوده ومن لا يوده، والنهي عن الأخص لا يستلزم النهي عن الأعم، فكأن الله حذر من المادة المشعرة بالمحبة والموالة بالباطن لجميع الكفار، يدخل في ذلك الآباء وغيرهم، وأمر الإنسان بأن لا يفعل لوالديه إلا المعروف، وفعل المعروف لا يستلزم المودة، لأن المودة من أفعال القلوب، لا من أفعال الجوارح، ومما يدل لذلك إذنه ﷺ لأساء أن تصل أمها وهي كافرة<sup>(٦)</sup>، وقال بعض العلماء: إن قصتها سبب لنزول قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾<sup>(٧)</sup> الآية

(١) مسند أبي يعلى ١١٦/٢ .

(٢) صحيح مسلم ١٣٦٧/٣ ، ١٨٧٧/٤ .

(٣) أسباب النزول ص ٣٥٦، ٣٥٧ وانظر ابن كثير ٤٤٥/٣ والفتح ٤٠٠/١٠ .

(٤) الفتح ٤٠١/١٠ .

(٥) الآية (٢٢) من المجادلة .

(٦) أخرجه الإمام البخاري بسنده عن أساء رضي الله عنها قالت: (قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ ،

فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: نعم، صلى أمك) (الصحيح مع الفتح ٢٣٣/٥) .

(٧) الآية (٨) من الممتحنة .



انتهى كلامه رحمه الله<sup>(١)</sup>. وهو كلام جيد يزول به ما قد يعكر فهم البعض . . وأقول: من العلماء الذين أشار إليهم رحمه الله، الواحدى فإنه أخرج بسنده<sup>(٢)</sup> من طريق أبي يعلى - أنه قال - حدثنا إبراهيم بن الحجاج<sup>(٣)</sup>، حدثنا عبد الله بن المبارك<sup>(٤)</sup>، عن مصعب بن ثابت<sup>(٥)</sup>، عن عامر بن عبد الله بن الزبير<sup>(٦)</sup>، عن أبيه<sup>(٧)</sup> قال: قدمت قتيلة بنت عبد العزى على ابنتها أسماء بنت أبي بكر<sup>(٨)</sup> بهدايا، ضباب، وسمن، وأقط، فلم تقبل هداياها، ولم تدخلها منزلها، فسألت لها عائشة النبي ﷺ عن ذلك فقال: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين﴾ الآية. فأدخلتها منزلها، وقبلت هداياها<sup>(٩)</sup>. وإذا كانت لكتاب الله عز وجل عناية بالوالدين فإن السنة المحمدية لم تغفل أمرهما، فقد كان نبي الرحمة ﷺ يؤكد على طاعة الوالدين وبرهما، تارة بالترغيب وأخرى بالترهيب، فمن الأول ما رواه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: (سألت النبي ﷺ، أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ قال: الصلاة على وقتها، قال: ثم أي؟ قال: بر الوالدين قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قال: حدثني بهن ولو استزدته لزادني)<sup>(١٠)</sup>. ويلاحظ أن رسول الله ﷺ قدّم بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله الذي هو من أكبر الحقوق العامة على الإنسان لأن حق الوالدين حق خاص ولذلك قال ﷺ لرجل قال له: (أجاهد؟ قال: لك أبوان؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد)<sup>(١١)</sup>.

ومن الثانى قوله ﷺ: (إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه ويسب أمه)<sup>(١٢)</sup>. وما ذكر في الحديث فرد من أفراد العقوق، وإن كان التسبب في لعن الوالدين من

(١) مجلة الجامعة الإسلامية العدد الثاني السنة الرابعة شوال ١٣٩١ هـ ص ١١-١٢ وله توجيه في كتابه دفع إيهام الاضطراب ص ٢٩٢. وانظر كلام الحافظ (الفتح ٢٣٣/٥).

(٢) أسباب النزول ص ٤٥٠.

(٣) أبو إسحاق البصري ثقة، يهيم قليلاً، مات سنة إحدى وثلاثين ومائتين أو بعدها.

(٤) المروزي، ثقة ثبت فقيه، جمعت فيه خصال الخير، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة.

(٥) ابن أخي عامر شيخه، لين الحديث، وكان عابداً، مات سنة سبع وخمسين ومائة.

(٦) أبو الحارث المدني، ثقة عابد، مات سنة إحدى وعشرين ومائة.

(٧) عبد الله بن الزبير بن العوام، أول مولود في الإسلام بالمدينة، ولي الخلافة تسع سنين وقتل في ذي الحجة رضى الله عنه.

(٨) زوج الزبير بن العوام، وهي ذات النطاقين، من كبار الصحابة، عاشت مائة سنة.

(٩) مسند أبي يعلى. أخرجه الواحدى بسنده من طريق أبي يعلى (الواحدى ص ٤٨٨) ولم أجده في مسند أبي يعلى. وذكره

صاحب مجمع الزوائد ١٢٦/٧ ولم يعزه. وعزه السيوطى في الدر المنثور لأبي يعلى.

(١٠) صحيح البخارى مع الفتح ٤٠٠/١٠.

(١١) أخرجه الإمام البخارى بسنده من حديث عبد الله بن عمرو. (الصحيح مع الفتح ٤٠٣/١٠).

(١٢) أخرجه الإمام البخارى بسنده من حديث عبد الله بن عمرو أيضاً (المصدر نفسه).

[illegible]

قال القرطبي: المراد أن الأم تستحق على الولد الحظ الأوفر من البر، وتقدم في ذلك على حق الأب عند المزاومة<sup>(٣)</sup>.

وقال عياض: وذهب الجمهور إلى أن الأم تفضل في البر على الأب، وقيل: يكون برهما سواء. ونقله بعضهم عن مالك. والصواب الأول<sup>(٤)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر : إلى الثاني ذهب بعض الشافعية - أي أنها في البر سواء - لكن نقل الحارث المحاسبى الإجماع على تفضيل الأم في البر<sup>(٥)</sup>، وفيه نظر والمنقول عن مالك ليس صريحاً في ذلك، فقد ذكره ابن بطلال قال : سئل مالك، طلبني أبي فمعتني أمي؟ قال : أطع أباك ولا تعص أمك . قال ابن بطلال : هذا يدل على أنه يرى برهما سواء كذا قال، وليست الدلالة على ذلك بواضحة<sup>(٦)</sup> . هذا جزء مما ذكره الحافظ في هذا الموضوع ومن يرغب في الاستيعاب فعليه بمراجعة المصدر وليعلم أن السنة تزخر بالحث على بر الوالدين، ليس في حياتهما فحسب بل بعد موتهما، قال أبو أسيد الساعدي رضي الله عنه : (بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ، إذ جاء رجل من بني سلمة فقال : يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ فقال : نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ

(١) أخرجه الإمام البخاري بسنده من حديث أبي هريرة (الصحيح مع الفتح ٤٠١/١٠).

(٢) الآية (١٤) من لقمان.

(٣) نقل هذا عنه الحافظ في الفتح ٤٠١/١٠.

(٤) المصدر السابق.

(٥) أرى والله أعلم أنه يدل على عظم حق الأم في البر لا على التفضيل فالأصل برهما جميعاً، ولما كانت الأم أحوج لضعف المرأة أكد برها .

(٦) الفتح ١٠/٤٠٢.

عهدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقيهما<sup>(١)</sup>. وكما أن الكتاب العزيز ربط شكر الوالدين بشكر الله عز وجل، كما تقدم بيانه، كذلك السنة النبوية ربطت رضى الوالدين برضى الله عز وجل، وسخطهما بسخطه عز وجل قال الترمذي رحمه الله : حدثنا أبو حفص عمر بن علي<sup>(٢)</sup>، حدثنا خالد بن الحارث<sup>(٣)</sup>، حدثنا شعبة<sup>(٤)</sup>، عن يعلي بن عطاء<sup>(٥)</sup>، عن أبيه<sup>(٦)</sup>، عن عبد الله بن عمرو<sup>(٧)</sup>، عن النبي ﷺ قال : (رضى الرب من رضى الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد)<sup>(٨)</sup>. وقد أكثرت السنة من التنويه بشأن الوالدين وعظم حقهما، وكان رسول الله ﷺ يؤكد ذلك في كل مناسبة. ولا شك أن من قصر في حق والديه لا يرجى منه خير للإسلام، ولا للمجتمع، ولا للأمة، جعلنا الله هداة مهتدين، ورزقنا بر الوالدين، والسير على نهج خير المرسلين.

## الأحكام

يؤخذ مما تقدم :

- ١ - وجوب طاعة الوالدين، وبرهما، وصيانتها.
- ٢ - تحريم عقوق الوالدين، والإساءة إليهما.
- ٣ - أن حقهما أعظم الحقوق بعد حق الله عز وجل.
- ٤ - تحريم طاعتها فيما حرم الله عز وجل.

## الوصية الثالثة

قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾.

المناسبة :

لعل المناسبة واضحة من السياق وأن الله عز وجل لما قرر في كتابه العزيز واجب الابن

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٢/٥) وفي سنده على بن عبيد مولى أبا أسيد مقبول. وأخرجه ابن ماجه عن شيخه على بن محمد بسند أبي داود (ابن ماجه ١٢٠٨/٢).

(٢) ابن مقدم، وصف بالتدليس الشديد، انظر إتحاف ذوي السوخ ص ٤١، مات سنة تسعين ومائة.

(٣) أبو عثمان، الهجيمي، ثقة ثبت، مات سنة ست وثمانين ومائة.

(٤) ابن الحجاج، أمير المؤمنين في الحديث، مات في حدود أربعين ومائة.

(٥) العامري، ثقة، مات في سنة عشرين ومائة أو بعدها.

(٦) عطاء، العامري، الطائفي مقبول.

(٧) ابن العاص رضى الله عنها، أحد المكثرين، وأحد الفقهاء، مات بالطائف.

(٨) الجامع ٣١٠/٤ وقد وقع خطأ (شعبه بن يعلى) والصواب ما أثبتناه انظر (التحفة ٢٥/٦) وأخرجه الحاكم من طريق

أخرى عن شعبة ١٥١/٤.

تجاه الوالدين أردف عز وجل بالوصية بالأبناء وبيان ما لهم من الحقوق كما أوضح ما عليهم من الواجبات ، وهذا تحقيق للموازنة بين الحقوق والواجبات .

### البحث اللغوي :

المفردات : الإملاق . فسرت هذه الكلمة بمعان عدة .

١ — أن المراد بالإملاق الفقر . قاله ابن عباس<sup>(١)</sup> .

٢ — الإنفاق . وقد سألت امرأة ابن عباس ، أنفق من مالي ما شئت؟ قال : نعم أملقي من مالك ماشئت<sup>(٢)</sup> . وذكر ابن عطية أن هذا ذكر عن علي رضي الله عنه<sup>(٣)</sup> .

٣ — الإفساد<sup>(٤)</sup> .

٤ — وقيل الجوع بلغة لحم . وقيل الإسراف . وفعل أملق يكون قاصراً ومتعدياً ، يقال : أملق الرجل فهو مملق ، إذا افتقر . فهذا اللازم . وأملق الدهر ما عنده . وهذا المتعدي<sup>(٥)</sup> .

### الإيضاح

قال تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ الآية . أوصى الرب عز وجل عباده بعدم الإقدام على قتل الأولاد ، ذكوراً كانوا أم إناثاً ، لأن لفظ الولد يشمل الذكر والأنثى على حد سواء ، وقد كان قتل الأولاد من أعمال الجاهلية ولا سيما البنات فحرم الله ذلك لأى سبب كان قال تعالى : ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾<sup>(٦)</sup> فالجاهليون كانوا يفعلون ذلك لأسباب عدة منها :

١ — الفقر الواقع والحال بالوالدين . ففعله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ يفيد هذا المعنى أي من أجل فقر حال بكم ، ولذلك قدم رزق الوالدين على الأولاد ، لأنهم تابعون لأبائهم في الرزق الحال<sup>(٧)</sup> .

(١) انظر الفتوحات ١٠٨/٢ ، وفي الصحاح . الإملاق : الافتقار (٥١٢/٢) وانظر اللسان ٣٤٨/١٠ .

(٢) اللسان ٣٤٨/١٠ .

(٣) ابن عطية ١٧٩/٦ .

(٤) اللسان ٣٤٨/١٠ .

(٥) أنظر اللسان ٣٤٨/١٠ ، والفتوحات ١٠٨/٢ .

(٦) الأيتان (٩، ٨) من التكوين .

(٧) المعلومات مستفادة من (الروح ٤٧/٨ ، والمنار ١٢٤/٨)

٢ - الفقر المتوقع مستقبلاً يؤيد هذا الفهم قوله تعالى : ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم﴾<sup>(١)</sup> وهنا قدم رزق الأولاد على الآباء لتعلق رزقهم بالمستقبل وكثيراً ما يكون الآباء عاجزين عن الكسب، يحتاجون إلى أن ينفق عليهم فقدم رزق الأولاد في مقام الخوف والخشية من عدم الكسب وقلة الرزق<sup>(٢)</sup>.

٣ - الخوف من العار، وهذا خاص بالبنات. فقد كانوا يثدنون البنات حماية للشرف، وبعداً عن السُّبَّة، لكنها وسيلة قاسية وظالمة، والغاية في الإسلام لا تبرر الوسيلة.

٤ - التدين، فقد ينحر الجاهلي ولده تقريباً إلى الآلهة. وقد يستدل له بأن عبد المطلب نذر حين لقي من قريش ما لقي لئن ولد له عشرة أولاد لينحرن أحدهم، لكن. ذكر ابن هشام أمرين يدفعان نهوض الاستدلال:

١ - إن ابن هشام رحمه الله قال: فيما زعموا والله أعلم. هذه إشارة إلى عدم ثبوت القصة من وجه يعتمد عليه.

٢ - إن النذر كان لله ولم يكن للآلهة كما ورد في القصة<sup>(٣)</sup>. وسواء ثبتت هذه الأسباب أو لم تثبت فقد حرم الله عز وجل قتل الأولاد، في كتابه العزيز، وأكدت السنة النبوية المطهرة ذلك التحريم، وحذرت من ذلك العمل الجاهلي أشد التحذير، وقد شرط الله عز وجل في بيعة النساء عدم قتل الأولاد قال تعالى : ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبائعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن﴾<sup>(٤)</sup> الآية ومما جاء في السنة الحديث المتفق عليه واللفظ للبخاري أن رسول الله ﷺ قال: (سألت أوسثل رسول الله ﷺ، أي الذنب عند الله أكبر؟ قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك. قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك) الحديث<sup>(٥)</sup>. وفي آخره، قال: ونزلت هذه الآية: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾<sup>(٦)</sup> تصديقاً لرسول الله ﷺ. وإن فيما ذكرنا غنية لطالب الحق المستفيد، وفيه عون بإذن الله للباحث المستزيد.

(١) الآية (٣١) من الإسراء.

(٢) المنار ١٢٤/٨.

(٣) ابن هشام ٩٨/١.

(٤) الآية (١٢) من الممتحنة.

(٥) الصحيح مع الفتح ٤٩٢/٨.

(٦) الآية (٦٨) من الفرقان.

## من الأحكام

- ١ - الوصية تدل على تحريم قتل الأولاد.
- ٢ - يفهم منها وجوب الاعتماد على الله عز وجل في طلب الرزق.
- ٣ - قال القرطبي رحمه الله: وقد يستدل بهذا من يمنع العزل، لأن الوأد يرفع الموجود، والنسل، والعزل: منع أصل النسل، فتشابهها، إلا أن قتل النفس أعظم وزراً، وأقبح فعلاً، ولذلك قال بعض علمائنا: إنه يفهم من قوله ﷺ: (ذلك الوأد الخفى) (١) الكراهية لا التحريم (٢). والعزل: هو أن يفرغ الرجل ماءه خارج الرحم (٣). وقد اختلف العلماء في حكم العزل (٤).
- ١ - الأئمة الثلاثة، أبو حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله يقولون بجواز العزل عن الحرة بإذنها، ويعزل عن الأمة بغير إذنها. واستدلوا على ذلك بحديث أبي سعيد الخدري وحديث جابر رضى الله عنهما ومافى معناه (٥).
- ٢ - الإمام الشافعي رحمه الله ذهب إلى جواز العزل مطلقاً، وبدون إذن.
- ٣ - ذهب ابن حزم إلى تحريم العزل مطلقاً مستدلاً بحديث جذامة بنت وهب عند مسلم (٦).
- والراجح الجمع بين هذه الأقوال. بحمل المنع على كراهة التنزيه، والجواز على عدم التحريم ولا يعني الجواز عدم وجود الكراهة (٧).

## الوصية الرابعة

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾.

- 
- (١) صحيح مسلم ١٠٦٧/٢.
  - (٢) القرطبي ١٣٢/٧.
  - (٣) انظر تعريفه عند النووي (في الشرح ٦١٢/٣) وانظر (الفتح ٣٠٥/٩).
  - (٤) انظر التفصيل (الفتح ٣٠٥/٩-٣١٠).
  - (٥) انظر (الصحيح مع الفتح ٣٠٥/٩).
  - (٦) صحيح مسلم ١٠٦٧/٢.
  - (٧) انظر (الفتح ٣١٠-٣٠٥/٩ وشرح النووي ٦١٢/٣) وقد كان عثمان رضى الله عنه يكرهه لما فيه من إقلال النسل. (المحلى ٧/١٠) وقد اختلف النقل عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه (المصدر السابق) وانظر (مصنف عبد الرزاق ١٤٤/٧، وسنن سعيد بن منصور ١٠٥/٢/٣، البيهقي ٢٣١/٧، والمغني ٢٣/٧، ومصنف ابن أبي شيبة ٢٢٠-٢٢٣، ونيل الأوطار ٢١٠-٢٢٢).

## المناسبة :

إن المتأمل للصايا الثلاث الأول يجد فيها عناية وتأكيذاً على الطهارة المعنوية، ففي الوصية الأولى أوصى الله عز وجل بطهارة القلب من عبادة غيره، ومن كل شائبة تعكر صفو العقيدة مهما قل شأنها، وفي الوصية الثانية أوصى بطهارة الجوارح من الإساءة إلى الوالدين، وأمر بكبح كل جارحة بالإحسان الزائد على العدل، وفي الوصية الثالثة أمر بطهارة الجوارح أيضاً من صفة ذميمة، مارسها الجاهليون، فأكد الشرع على تحريمها، وأعلن قبحها، فالطهارة الأولى فيها حماية للفرد، والثانية والثالثة فيهما حماية للأسرة، وجاءت الوصية الرابعة شاملة لحماية الفرد والأسرة والمجتمع، فالطهارة المعنوية قاعدة يقوم عليها صلاح الفرد والأسرة والمجتمع ومركزها أفراد الله عز وجل بالعبادة.

## البحث اللغوي :

أ - النحو: (ماظهر) منصوب على البدل من الفواحش .  
(مابطن) عطف عليه .

ب - المفردات: الفواحش: جمع فاحشة . وكل شيء جاوز حده فهو فاحش<sup>(١)</sup> .  
والفحشاء والفاحشة، ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال<sup>(٢)</sup> . والفاحشة، الزنا . وكل ما يشتد قبحه من الذنوب وكل ما نهى الله عز وجل عنه<sup>(٣)</sup> .  
وقد جاء في معنى الفواحش في هذه الآية خمسة أقوال :

١ - أن ما ظهر: هو نكاح المحرمات والخمر، وما بطن الزنا . قاله سعيد بن جبير ومجاهد .

٢ - وقال الضحاك: ما ظهر الخمر، وما بطن، الزنا .

٣ - وقال ابن عباس والحسن والسدي: إن الفواحش الزنا، وما ظهر منه الإعلان به، وما بطن، الاستسار به .

٤ - قال قتادة: إنه عام في الفواحش، وظاهرها علانياتها، وباطنها، سرها<sup>(٤)</sup> .

٥ - ذكر الماوردي في تفسير هذه الآية أن ما ظهر، أفعال الجوارح، وما بطن، اعتقاد

(١) الصحاح ٢/٢٢٥، وانظر اللسان ٦/٣٢٥ .

(٢) الراغب ص ٣٧٤ .

(٣) ترتيب القاموس ٣/٤٢٥ .

(٤) الزاد ٣/١٤٨ .

القلوب<sup>(١)</sup>. والأولى حمل الآية على العموم في هذا، وأنها كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾<sup>(٢)</sup>. ولا فرق بين الآثام الظاهرة والباطنة لذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. أي سواء كان ظاهراً أو باطناً، فالجزاء واقع لا محالة، ما لم تقع التوبة، أو يحظ العبد بعفوره وكرمه<sup>(٤)</sup>. اللهم ارحمنا ووفقنا لصالح الأعمال، وقنا سيئها، ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته.

## الإيضاح

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾.

إن المتأمل لهذا النهي يجد أنه وقع بين نهين:

النهي الأول: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾. والنهي الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وهو نهي عن القتل مطلقاً. وقد حاول بعض المفسرين أن يجد علة لذلك، لأننا إذا اعتبرنا المراد بالفواحش، الزنا، فإنها بهذا المعنى جناية عظيمة وهي جناية على النسل، وقتل جميع الحقوق المترتبة عليه، فكأن ذلك في حكم قتل الأولاد، وأولاد الزنا في حكم الأموات لاسيما في الحقوق المتعلقة بالنسل، وإذا كان قول النبي ﷺ في العزل: (ذلك الوأد الخفي) منفراً عن هذه الصفة فلا ريب أن عقوبة الزاني ربما تكون مضاعفة بهذا الاعتبار والله أعلم. وهذا المعنى تلمسه بعض المفسرين<sup>(٥)</sup>.

أما إذا اعتبرنا العموم وهو مانراه في هذا الموضوع فلا تظهر علة للتوسط المذكور وإنما هي محرمات أوصى الله عباده باجتنابها، وإذا كانت الفواحش ما عظم قبحه من الأقوال والأعمال. ولا شك أن تجاوز ما حرم الله من الفواحش وأعظمها الشرك بالله. والخطر كامن في تجاوز الحدود وانتهاك الحرمات أعاذنا الله من ذلك. ولعل التحذير من الاقتراب من الفواحش مبالغة في الزجر عنها لقوة الدواعي إليها، ومعلوم أن الاقتراب من الشهوة المحرمة يدعو إلى اقترافها ومباشرة ما نهى الله عنه، وكم من إنسان ضعفت نفسه أمام شهوته، وحام حول الحمى فوقع فيه.

(١) الماوردي ٥٧٦/١.

(٢) الآية (٢٣) من الأعراف.

(٣) الآية (١٢٠) من الأنعام.

(٤) وعن ذهب إلى القول بالعموم الطبري ٦١/٨ والرازي ٢٣٣/١٣.

(٥) انظر (الإرشاد ١٩٩/٣).



ومعنى الآية الكريمة: أن ما وصى الله به عباده عدم الاقتراب من الأعمال المؤدية إلى ما حرم الله والابتعاد عن الخصال السيئة التي منها الزنا، واللواط، وقذف المحصنات، ونكاح أزواج الآباء، وكل ما سماه الله عز وجل فاحشة، وجب الابتعاد عنه، فهو مما ثبتت شدة قبحه شرعاً وعقلاً، وقد كان الجاهليون يستقبحون الزنا، ويعدون أكبر العار، ولا سيما إذا وقع من الحرير<sup>(١)</sup>، وكان وقوعه منهن نادراً، وإذا كان الأمر كذلك، فمن شرفهم الله عز وجل بالشرع المحمدي أولى بالعفة والنزاهة، بيد أن ذلك لم يحدث في الجاهلية علناً إلا في الإماء والحواري، فقد كانت المجاهرة منهن، في حوانيت ومواخير تمتاز بأعلام حمراء، فيختلف إليها الأرذلون منهم، أما الأشراف فلا يعلنون ذلك وقد يتخذون الأخدان سراً، قال الإمام الطبري رحمه الله: حدثني المثنى<sup>(٢)</sup> قال: ثنا عبد الله بن صالح<sup>(٣)</sup>، ثنى معاوية<sup>(٤)</sup>، عن علي بن أبي طلحة<sup>(٥)</sup>، عن ابن عباس قوله: (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) قال: كانوا في الجاهلية لا يرون بالزنا بأساً في السر، ويستقبحونه في العلانية، فحرم الله الزنا في السر والعلانية<sup>(٦)</sup>. قوله تعالى: ﴿ما ظهر منها وما بطن﴾ يفهم من هذا القول الكريم أن العبد لا بد أن يراقب الله عز وجل ويحذر المحرمات في جميع أحواله وهذا معنى التقوى في قول رسول الله ﷺ لابن عباس: (احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك) الحديث<sup>(٧)</sup>. وأصرح من هذا ما أخرجه الدارمي حيث قال: حدثنا أبو نعيم<sup>(٨)</sup>، ثنا سفيان<sup>(٩)</sup>، عن حبيب بن أبي ثابت<sup>(١٠)</sup>، عن ميمون بن أبي شبيب<sup>(١١)</sup>، عن أبي ذر قال: قال رسول الله

(١) ولذلك أنكرت هند بنت عتبة أن تزني الحرة حين طلب منها المبايعة على غرار ما جاء في آية الأحزاب (ابن كثير ٣٥٤/٤).

(٢) المثنى بن إبراهيم الأملی. صرح باسمه كاملاً في الأثر رقم ٥٩٤ (٣٧/١) النسخة المحققة ولم أقف عليه مترجماً.

(٣) كاتب الليث، صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه، مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين.

(٤) الحضرمي، قاضي الأندلس، صدوق له أوهام، مات سنة ثمان وخمسين ومائة.

(٥) مولى بن العباس. أرسل عن ابن عباس ولم يره، صدوق يخطيء، وهو من رجال مسلم. مات في سنة ثلاث وأربعين ومائة وانظر (ابن معين ص ٨٥) والمصادر التي أحيل عليها.

(٦) الطبري ٦١/٨ وأخرجه بسنده موقوفاً على الضحاك، ومن طريق أخرى موقوفاً على قتادة.

(٧) أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح ٦٦٧/٤، وفي السند ابن لهيعة وليس بقادح لأنه مقرون بالليث بن سعد، وروى عنها عبد الله بن المبارك. وأخرجه أحمد من طريق ليث وحده (المسند ٢٩٣/١).

(٨) الفضل بن دكين، من كبار شيوخ البخاري، ثقة ثبت.

(٩) الثوري، الحجة، الفقيه، قال البخاري: ما أقل تدليس. انظر (التبيين ص ٢٧).

(١٠) ثقة، فقيه جليل، وصف بكثرة التدليس والإرسال. (المصدر السابق).

(١١) الربيعي، صدوق، كثير الإرسال، مات سنة ثلاث وثلاثين.

ﷺ: (اتق الله حيث ما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)<sup>(١)</sup>. وهذه الأحاديث وما في معناها مع الآية الكريمة تؤكد إرتباط النفس بمراقبة الله عز وجل واستصحاب التقوى في السر والعلانية وهي الصفة المنجية كما أخبر بذلك أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية) الحديث<sup>(٢)</sup>. ويكمن الخطر في حالة انفصال المراقبة عن النفس في وقت ما، فمثلاً إذا احترز الإنسان عن المعصية في الظاهر، ولم يحترز عنها في الباطن، علم أن الاحتراز في الظاهر ليس لأجل الله عز وجل، فليست فيه طاعة ولا عبودية لله، وإنما كان الاحتراز خوفاً من مذمة الناس وذلك باطل، لأن من كانت مذمة الناس عنده أعظم وقعاً على نفسه من عقاب الله عز وجل فإنه يخشى عليه من الكفر، وأي خطر أعظم من أن يعرض الإنسان نفسه لهذا الذنب العظيم، وأي نقمة أشد من سخط الله، نعوذ بالله من التهلكة ونعوذ بالله من سخطه ونقمته.

أما من ترك المعصية ظاهراً وباطناً، فذلك دليل على أنه إنما تركها تعظيماً لحدود الله أن ينتهكها، وتنفيذاً لأمر الله عز وجل بالاجتناب في كل حال، وتحقيقاً لعبوديته لله عز وجل. وخوفاً من عقابه<sup>(٣)</sup>. ولئن كان كتاب الله عز وجل حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن فذلك سنة رسول الله ﷺ فقد أخرج الإمام البخاري بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (ما من أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش) الحديث<sup>(٤)</sup>. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ويكفي ورود هذا الحديث عن رسول الله ﷺ وفي أصح الكتب بعد كتاب الله. فحق على كل مسلم بالغ عاقل رشيد أن يجتنب ما حرم الله ظاهراً وباطناً، ويعلم أنه سيقف بين يدي الله عز وجل ويسأل عن هذه الوصية.

## الأحكام

من الأحكام المستفادة من هذه الوصية:

- ١ - وجوب الابتعاد عما حرم الله ظاهراً وباطناً.
- ٢ - مراقبة الله عز وجل في كل حال خير معين على اجتناب المحرمات.

(١) الدارمي ٢٣١/٢ وانظر المصادر التي أحيل عليها في التعليق.

(٢) ذكره الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير ٦٤/٣.

(٣) انظر الرازي ٢٣٣/١٣.

(٤) الصحيح مع الفتح ٣٨٣/١٣، وانظر (صحيح مسلم ٢١١٣/٤).

## الوصية الخامسة

قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ .

المناسبة :

قد يتلمس الباحث ما يربط به بين المعاني أو الأوامر أو النواهي ، وقد يكون ما يصل إليه أمراً واضحاً يتأيد بالأسلوب والمقام ، وقد يكون فيه تكلف وبعد . ولعل الناظر في هذه الوصايا الكريمة يجد أن الله عز وجل حرم قتل القلوب بعبادة غير الله عز وجل ، أي نوع كان من أنواع العبادة ، وصان بعد ذلك الوالدين وحماهما من جهل الجهلاء ، وحماقة السفهاء ، فالإساءة إليهما أو إلى أحدهما قتل للراوِبط الأسرية ، وقضاء على الإحسان الذي أمر الله به ، ثم أحكم علاقة الأباء بالأبناء ، ورسم حدوداً لا يجوز لأي من الأبوين تجاوزها ، وصرح عز وجل بتحريم قتل الأولاد ، لأن قتلهم قتل للمجتمعات ، وقضاء على تتابع الأجيال ، ويدخل في هذا الفساد إرتكاب الزنا فهو يقتل المجتمعات حساً ومعنى . وتلا ذلك النهي عن قتل النفس عامة ، وهذا العموم يوحي بتضمن ماسبق ، فإن كل قتلٍ فردي إنما يقع على جنس النفس في عمومته ، يؤيد هذا الفهم قوله تعالى : ﴿مَنْ أَجَلْ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا . . .﴾ (١) الآية . فالاعتداء إنما يقع على حق الحياة ذاتها ، وعلى النفس البشرية في عمومها ، والآية الكريمة دليل على أن الله عز وجل كفل حرمة النفس ابتداءً (٢) .

البحث اللغوي :

أ - في النحو : قوله : (إلا بالحق) استثناء مفرغ ولعله من أحد ثلاثة أمور :

١ - من أعم الأحوال ، أي لا تقتلونها في حال من الأحوال ، إلا حال ملابستكم الحق ، الذي هو أمر الشرع بقتلها .

٢ - أو من أعم الأسباب ، أي لا تقتلونها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق .

٣ - أو من أعم المصادر ، أي لا تقتلونها قتلاً إلا قتلاً كائناً بالحق .

(١) الآية (٣٢) من المائدة .

(٢) هذا المعنى مستفاد من (الظلال ٣/ ٤٢٤) .

وقد رجح في الفتوحات أن قوله ﴿إلا بالحق﴾ مفعول مطلق، أي إلا القتل المتلبس بالحق<sup>(١)</sup>.

قوله ﴿ذلكم﴾ إشارة إلى الوصايا المتقدمة. والكاف والميم: للخطاب، ولا حظ لهما من الإعراب.

قوله ﴿النفس﴾ أي جنس نفس الإنسان، فالألف واللام لتعريف الجنس، كقولهم: أهلك الناس حب الدرهم والدينار. والله عز وجل يقول: ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً﴾<sup>(٢)</sup> فالمراد الجنس.

الضمير في قوله ﴿وصاكم﴾ محله النصب، لأنه ضمير موضوع لمخاطبة الجمع. وفي وصي ضمير تقديره: هو، فاعل يعود على لفظ الجلالة أي: وصى الله تعالى عباده بذلك.

ب - المفردات :

الحق : واحد الحقوق، هو ضد الباطل<sup>(٣)</sup>.  
تعقلون : من العقل، والمراد في الآية العلم<sup>(٤)</sup> الذي يستفيده الإنسان من التأمل في هذه الوصايا.

## الإيضاح

إن التأمل للآية الكريمة يجد أن قتل النفس المحرمة من جملة الفواحش، وقد أفرده رب العزة فهو من باب ذكر الخاص بعد العام، وقد أجاب العلماء رحمهم الله عن هذا منهم الإمام الرازي رحمه الله قال: اعلم أن هذا داخل في جملة الفواحش، إلا أنه أفرده تعالى بالذكر، لفائدتين:

١ - أن الأفراد بالذكر يدل على التعظيم، والتفخيم كقوله تعالى: ﴿وملائكته وجبريل وميكال﴾<sup>(٥)</sup>.

٢ - أن الفواحش لا يستثنى منها فلا يقال: لا تقربوا الفواحش إلا بالحق. وهو وارد في القتل فجاء إفراده لفرض الاستثناء أيضاً<sup>(٦)</sup>. وإذا تدبر الإنسان كتاب الله عز وجل يجد

(١) انظر (الإرشاد ٣/١٩٩، والفتوحات ٢/١٠٩).

(٢) الآية (١٩) من المعارج.

(٣) انظر (الصالح ٢٨١/١ واللسان ٤٩/١٠. والمفردات ص ٣٤١). (٥) انظر (الآية ٩٨ من البقرة).

(٤) انظر (ترتيب القاموس ٣/٢٧٧. والمفردات ص ٣٤١). (٦) الرازي ١٣/٢٣٣.

بكثرة ورود النهي عن هذه المنكرات الثلاث متتابعاً، النهي عن الشرك، والنهي عن الزنا، والنهي عن قتل النفس ولعل في هذا توجيهاً للنظر إلى أن هذه الأمور الثلاثة تشترك في صفة القتل، فإذا نظرنا إلى جريمة الشرك نجد أنها قتل للقلوب وإماتة للفطرة التي فطر الله الناس عليها. فالقلوب التي لا تعيش على التوحيد قلوب ميتة، قد قضى على مافيهما من فطرة يؤيد هذا الفهم قوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مِيتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشَى بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ (١) الآية. فليس المراد موت الأجساد بخروج الأرواح منها، بل المراد موت القلوب بخلوها من نور الحق، وبرهان الشرع، والشرع لا يقوم إلا على اعتقاد سليم وبرهان قويم. وجريمة الزنا قتل للجماعة حساً ومعنى، فالجماعة التي تشيع فيها الفاحشة جماعة ميتة معنوياً من حيث عدم وجود الغيرة التي هي من أعظم الأسباب في حماية المجتمع من هذا الوباء القاتل ولذلك وصف بها النبي ربه عز وجل فقال: (ما من أحد أغير من الله عز وجل) (٢) فإذا قتلت الغيرة في الجماعة استشرى الخطر، وعم البلاء، أما قتلها حساً فإن مصيرها إلى الفناء والدمار لا محالة لاندفاعها خلف هذه الشهوة المحرمة حتى بلغت مستوى الدواب بل هم أضل سبيلاً. وقد جاء في بلاغات الإمام مالك عن ابن عباس أنه قال: ( . . . ولا فشا الزنا في قوم قط إلا كثر فيهم الموت . . . ) (٣) قال ابن عبد البر: قد رويناه متصلاً عنه، ومثله لا يقال بالرأي (٤). ويؤيد قوله هذا أن ابن ماجه قال: حدثنا محمود بن خالد الدمشقي (٥)، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب (٦)، عن ابن أبي مالك (٧) عن أبيه (٨) عن عطاء بن أبي رباح (٩)، عن عبد الله بن عمر قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: (يامعشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركنهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع، التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا . . . ) (١٠) الحديث. وله شاهد من حديث ميمونة أخرجه الإمام أحمد رحمه الله (١١). وفي نظري أن هذا الخبر لا يقل

(١) الآية (١٢٢) من الأنعام.

(٢) الصحيح مع الفتح ٣٨٣/١٣، وصحيح مسلم ٢١١٣/٤.

(٣) الموطأ ٤٦٠/٢.

(٤) قاله محمد فؤاد تعليقاً على المصدر السابق. ولا أراه إلا في التمهيد. ولم أقف عليه.

(٥) ثقة، مات سنة سبع وأربعين ومائتين.

(٦) صدوق يخطئ من رجال البخاري مات سنة ثلاث وثلاثين ومائتين.

(٧) خالد بن يزيد بن عبد الرحمن ضعيف، مع كونه فقيهاً، قد اتهمه ابن معين، مات سنة خمس وثمانين.

(٨) يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك، صدوق ربا وهم، مات سنة ثلاثين ومائة أو بعدها.

(٩) ثقة، كثير الإرسال، مات سنة أربع عشرة ومائة.

(١٠) ابن ماجه ١٣٣٢/٢.

(١١) المسند ٣٣٣/٦.

عن درجة الحسن لغيره وأنه كما قال ابن عبد البر رحمه الله : مثله لا يقال بالرأي ، والواقع يؤيده بعد مضي أكثر من ألف وأربعمائة سنة ، يظهر الوباء الذي لم يعهد من قبل ، ويهدد العالم الذي فشا فيه الزنا ولا ريب أنه الموت الذي ذكره ابن عباس وهو الطاعون الذي ذكره ابن عمر من قول رسول الله ﷺ وهو العقاب الذي ذكره الإمام أحمد من حديث ميمونة رضي الله عنها ، وهو (الإيدز) <sup>(١)</sup> كما يسميه عالم الحضارة اليوم ، فهل آن الأوان لأبناء الإسلام أن يرجعوا إلى حمى الإسلام فيحتموا به من قتل القلوب والمجتمعات . وجاء النهي الثالث يحرم الاعتداء على جنس النفس البشرية بجعل قتلها بغير حق فاحشة عظيمة وكبيرة ، يعاقب الله عليها بأشد العقاب ، ولذلك أجمع المسلمون على تحريم القتل بغير حق ، اعتماداً على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ ، فالله عز وجل يخاطب عباده في هذه الوصية بأن لا تقتلوا النفس التي حرم قتلها بالإسلام ، أو عقد الذمة ، أو العهد ، أو الاستئمان ، فيدخل في عموم النفس كل أحد إلا الحربي ، ففي هذه الوصية حرم قتل النفس عامة . وكذلك في قوله تعالى : ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً ، فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً﴾ <sup>(٢)</sup> وأكد على النفس المؤمنة تكريماً لها وتنوياً بشأنها وإلا فهي داخلية في العموم قال تعالى : ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ﴾ <sup>(٣)</sup> الآية وقال تعالى : ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً أليماً﴾ <sup>(٤)</sup> . كما نصت السنة المطهرة على تحريم قتل المعاهد ، تنوياً بمبادئ الإسلام ، وتربية لأمة الإسلام على حفظ العهود والمواثيق والعهد يشمل الأمرين السابقين ، عقد الذمة ، والاستئمان ، قال رسول الله ﷺ : (من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً) <sup>(٥)</sup> . وأخرج الترمذي بسنده من حديث أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : (ألا من قتل نفساً معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله ، فقد أخفر بذمة الله ، فلا يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً) . قال : حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح <sup>(٦)</sup> . وهذا غيظ من فيض .

(١) وباء هذا العصر نتيجة الخروج عن الآداب الإسلامية . والإنسانية والانحطاط إلى مستوى الحيوان بل أدنى من ذلك وقد نشرت جريدة الشرق الأوسط في عددها ٣٤١٣ الصادر في يوم السبت ١٤٠٨/٨/٢٥ هـ أن عدد الإصابات بهذا الوباء والذي تم إبلاغ منظمة الصحة العالمية بها وصل إلى ٨٥٢٧٣ إصابة في العالم . وما خفي أعظم .

(٢) الآية (٣٣) من الإسراء .

(٣) الآية (٩٢، ٩٣) من النساء .

(٥) الصحيح مع الفتح ٢٥٩/١٢ .

(٦) الجامع ٢٠/٤ .

قوله : ﴿إلا بالحق﴾ .

المراد به ما يبيح قتل النفس التي حرم الله قتلها شرعاً . ومنه المذكور في الأسباب الآتية :

١ — النفس بالنفس قال تعالى : ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾<sup>(١)</sup> الآية وقال تعالى : ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون﴾<sup>(٢)</sup> .

٢ — الوقوع في الزنا بعد الإحصان . وقد جاء في كتاب الله عز وجل مما بقي حكمه ونسخت تلاوته (الشيخ والشيخة فارجهما البتة)<sup>(٣)</sup> يعني إذا زنيا فذاك عقابهما وجاء في الحديث المتفق عليه أن النبي ﷺ قال : (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث ، الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة)<sup>(٤)</sup> .

٣ — المرتد عن الدين ، التارك لجماعة المسلمين . كما ورد في الحديث آنفاً .

٤ — المحاربون لشرع الله الذين يسعون بالفساد في الأرض . ومنهم قطاع الطرق ، وما يسمون بالإرهابيين اليوم ، والسايطون على أعراض الناس ، ودمائهم ، وأمواهم . قال تعالى : ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الأرض فساداً ، أن يقتلوا أو يصلبوا ، أو ينفوا من الأرض﴾<sup>(٥)</sup> الآية .

ثم إنه تعالى لما بين أحوال هذه الوصايا الخمس أتبع ذلك اللفظ الذي يقرب إلى القلوب القبول فقال : ﴿ذلكم وصاكم به﴾ لما فيه من الشمول للأمر والنهي ، ولما فيه من اللطف والرأفة ، كل ذلك ليكون القلب أقرب إلى القبول ، ثم أتبعه عز وجل بقوله : ﴿لعلكم تعقلون﴾ ولعل هنا ليست على بابها ، أي لكي تعقلوا فوائد هذه الوصايا في الدين والدنيا . ومن تأمل قوله : ﴿ذلكم وصاكم به﴾ يجد أن استخدام اسم الإشارة للبعيد له دلالة تنبئ عن عظمة هذه الوصايا وبعد ماترمي إليه من إصلاح الدين والدنيا ، ومافيهما من الحكم والأحكام الإلهية التي تضمنت الكمال المطلق في الهداية والتوجيه ، وإصلاح الإنسانية في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

(١) الآية (٤٥) من المائدة .

(٢) الآية (١٧٩) من البقرة .

(٣) انظر (الموطأ ٢/٨٢٤) .

(٤) انظر (الصحيح مع الفتح ٢٠١/١٢ وصحيح مسلم ١٣٠٢/٣) .

(٥) الآية (٣٣) من المائدة . ولتأمل الفائدة انظر (الرازي ١٣/٢٣٣) .

ولما كانت الوصية الخامسة تنهى عن القتل بغير حق فإنه يحسن الكلام عن القتل وأقسامه .

إن الدارس لهذه القضية يجد أن الأكثرين من العلماء يرون القتل أقساماً ثلاثة :

١ - العمد . ٢ - شبه العمد . ٣ - الخطأ .

ومن يرى هذا التقسيم عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبي طالب رضى الله عنهما ولهما فيه قضاء<sup>(١)</sup> وبه قال الشعبي ، والنخعي ، وقتادة ، والثوري ، والإمام الشافعي ، والإمام أحمد ، وأهل العراق ، وأصحاب الرأي رحم الله الجميع ، ونقل عن الإمام مالك رحمه الله أنه أنكر شبه العمد وقال : ليس في كتاب الله عز وجل إلا العمد ، والخطأ ، فهو لا يعمل بشبه العمد ، وجعله من قسم العمد . وحكى عنه مثل قول الجماعة<sup>(٢)</sup> .

ويؤيد مذهب إليه الجمهور ما أخرجه أبو داود وقال : حدثنا سليمان بن حرب<sup>(٣)</sup> ومسدّد<sup>(٤)</sup> قالوا : حدثنا حماد<sup>(٥)</sup> ، عن خالد<sup>(٦)</sup> ، عن القاسم بن ربيعة<sup>(٧)</sup> ، عن عقبة بن أوس<sup>(٨)</sup> ، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : ( . . . ألا إن دية الخطأ شبه العمد ، ما كان بالسوط والعصا ، مائة من الإبل ، منها أربعون في بطونها أولادها )<sup>(٩)</sup> . وهذا الحديث الذي لا يقل عن درجة الحسن نص يصد مانقل عن الإمام مالك رحمه الله من إنكاره شبه العمد ، وقد زاد أبو الخطاب قسماً رابعاً ، وسماه ( ما أجري مجرى الخطأ ) نحو أن ينقلب نائم على شخص فيقتله ، أو يقع عليه من علو ، ومنه القتل بالسبب ، كحفر البئر ، ونصل السكين ، ومنه قتل غير المكلف ، فقد أجري مجرى الخطأ ، وإن كان عمداً ، لكن هذه الصورة التي ذكرها أبو الخطاب رحمه الله هي عند الأكثرين من قسم الخطأ ، لأن صاحبها ليس من أهل القصد الصحيح ، ولذلك أعطوه حكم الخطأ لأنه خطأ في الواقع . ويحسن في هذه العجالة إعطاء فكرة مبسطة عن كل قسم .

(١) انظر سنن أبي داود ٦٨٥/٤ .

(٢) المغني مع الشرح الكبير ٣٢٢/٩ .

(٣) البصري ، إمام حافظ ثقة ، مات سنة أربع وعشرين ومائتين .

(٤) ابن مسرهد ، البصري ، ثقة ، حافظ ، أول من صنف المسند مات سنة ثمان وعشرين ومائتين .

(٥) ابن زيد ، البصري ، ثقة ، ثبت فقيه ، مات سنة تسع وسبعين ومائة .

(٦) ابن مهران ، الحذاء ، ثقة ، يرسل ، من كبار الخامسة .

(٧) ابن جوشن ، البصري ، ثقة ، من الثالثة .

(٨) البصري ، صدوق من الرابعة .

(٩) أبو داود ٧١١/٤ - ٧١٢ .



١ - العمد : هو أن يقصد شخص قتل آخر بما يراه قاتلاً في العادة كالسيف ،  
والخنجر ، والطلقات النارية وغيرها من الأمور القاتلة . وهذا القسم ثبت بكتاب الله عز وجل  
قال الله تعالى : ﴿ ومن قتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم ﴾ (١) الآية .

٢ - شبه العمد : هو أن يقصد شخص ضرب آخر بما لا يقتل غالباً ، إما لقصد  
العدوان عليه ، أو لقصد التأديب له فيسرف فيه ، ويتجاوز الحد المعقول في ذلك ، كالضرب  
بالسوط ، والعصا ، والحجر الصغير ونحو ذلك .

وهذا القسم ثبت بسنة رسول الله ﷺ . فقد ذكرنا آنفاً حديث عبد الله بن عمرو بن  
العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ( ألا إن دية الخطأ شبه العمد ، ما كان  
بالسوط ، والعصا ، مائة من الإبل ، منها أربعون في بطونها أولادها ) (٢) وقد قضى فيه رسول  
الله ﷺ فقد أخرج الإمام البخاري بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال :  
( اقتلت امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها ، فاخصموا  
إلى النبي ﷺ فقضى أن دية جنيها غرة ، عبد أو وليدة ، وقضى أن دية المرأة على  
العاقلة ) (٣) . فاعتبره ﷺ شبه عمد إذ أوجب الدية على العاقلة ، ولو اعتبره عمداً لما حملت  
العاقلة الدية ، لأنها لا تحمل العمد . وقال أبو داود : حدثنا محمد بن يحيى بن فارس (٤) ،  
حدثنا محمد بن بكار بن بلال العاملي (٥) ، أخبرنا محمد - يعني ابن راشد (٦) - عن سليمان -  
يعني ابن موسى (٧) - عن عمرو بن شعيب (٨) ، عن أبيه (٩) ، عن جده (١٠) ، أن النبي ﷺ  
قال : ( عقل شبه العمد مغلظ ، مثل عقل العمد ، ولا يقتل صاحبه ) (١١) . فهذه نصوص من  
السنة صحيحة تثبت شبه العمد ، خلافاً لما نقل عن الإمام مالك رحمه الله .

٣ - الخطأ : هو أن يفعل الشخص فعلاً لا يريد به الاعتداء على أحد من البشر  
فيخطيء هدفه ويصيب إنساناً فيقتله ، مثاله . أن يرمي صيداً فيصيب إنساناً ، أو يلقي شيئاً

(١) الآية (٩٣) من النساء .

(٢) أخرجه أبو داود ٧١٢-٧١١/٤ .

(٣) الحديث متفق عليه وهذا لفظ البخاري (الصحيح مع الفتح ٢٥٢/١٢) .

(٤) الذهلي ، نقة ، حافظ ، جليل ، مات سنة ثمان وخمسين ومائتين .

(٥) صدوق ، مات سنة ست عشرة ومائتين .

(٦) المكحول ، صدوق بهم ، مات بعد ستين ومائة .

(٧) الأموي ، الأسدي ، صدوق فقيه ، في حديثه بعض لين ، من الخامسة .

(٨) ابن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، صدوق ، مات سنة ثمان عشرة ومائة .

(٩) شعيب بن محمد ، صدوق ، من الثامنة .

(١٠) عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

(١١) سنن أبي داود ٦٩٤/٤ .

فيقع على مارٍ، أو يقود سيارة فيعترضه شخص فيدهسه ونحو ذلك .  
والخطأ على قسمين أيضاً :

١ - أن يفعل الشخص ما يجوز له فعله مما سبقت الإشارة إليه ونحوه، فيؤل ذلك إلى إتلاف إنسان حر، مسلماً كان أو كافراً .

٢ - أن يكون في أرض العدو فيقتل من يظنه كافراً . فيصبح المقتول مسلماً . فهذا قسم من الخطأ وإن كانت الصورة صورة عمد لعدم قصد قتل المسلم . وقد ثبت القتل الخطأ بكتاب الله عز وجل قال الله تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ، ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة إلى أهله ﴾ (١) الآية . وهذه التقسيات مستفادة من المغني والشرح الكبير (٢) .

٥ - الامتناع عن أداء حق واجب الأداء من حقوق الله عز وجل ومنه الزكاة مثلاً فإن أبا بكر رضي الله عنه لم يتردد في قتال مانعي الزكاة ، بل أخذ ذلك بحزم وشدة ، أخرج الإمام البخاري بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : ( لما توفي رسول الله ﷺ ، وكان أبو بكر رضي الله عنه (٣) ، وكفر من كفر من العرب ، فقال عمر رضي الله عنه (٤) : كيف تقتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله ) . فقال (٥) : ( والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها ، قال عمر رضي الله عنه : فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه ، فعرفت أنه الحق ) (٦) . وهذا مما سنه أبو بكر رضي الله عنه ووافقه أصحاب رسول الله ﷺ ، وسرعان ما شرح الله صدر عمر رضي الله عنه وعرف أنه الحق ، ونحن مأمورون باتباع الخلفاء الراشدين قال أبو داود رحمه الله : حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا ثور بن يزيد (٧) قال : حدثني خالد بن معدان (٨) قال : حدثني عبد

(١) الآية (٩٢) من النساء .

(٢) ٣٣٨/٩ .

(٣) يعني خليفة بعد رسول الله ﷺ .

(٤) مخاطباً أبا بكر رضي الله عنه لما أمر بقتال المرتدين والمنعنين للزكاة .

(٥) أبو بكر رضي الله عنه .

(٦) انظر (الصحيح مع الفتح ٣/٢٦٢، ٣٢٢، ١٢/٢٧٥، ١٣/٢٥٠ غير أنه قال (عقلاً) ولزيد الفائدة انظر (البداية

والنهاية ٦/٣١١) .

(٧) أبو خالد ، الحمصي ، ثقة .

(٨) أبو عبد الله ، الحمصي ، ثقة ، يرسل كثيراً .

الرحمن بن عمرو السلمي<sup>(١)</sup>، وحجر بن حجر<sup>(٢)</sup> قالوا: أتينا العرياض بن سارية<sup>(٣)</sup>، وهو ممن نزل فيه ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه﴾<sup>(٤)</sup>، فسلمنا وقلنا: أتيناك زائرين، وعائدين، ومقتبسين، فقال العرياض: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون... فذكر الحديث وفيه (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ...) <sup>(٥)</sup>.

٦ - قد يجب قتال غير من سلف ذكرهم. وذلك في أحوال كمن قصد قتل رجل، أو أخذ ماله، أو الاعتداء على عرضه، فيجوز قتله على سبيل الدفاع عن النفس والمال والعرض يؤيد هذا ما أخرجه الإمام البخاري بسنده من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من قتل دون ماله فهو شهيد)<sup>(٦)</sup> وأخرجه الإمام الترمذي وزاد في رواية: (ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح<sup>(٧)</sup>. قال النووي رحمه الله: فيه جواز قتل من قصد أخذ المال بغير حق، سواء كان المال قليلاً أو كثيراً، وهو قول الجمهور، وشذ من أوجبه، قال ابن المنذر: والذي عليه أهل العلم أن للرجل أن يدفع إذا أريد ظمناً، بغير تفصيل، إلا أن كل من يحفظ عنه من علماء الحديث كالمجمعين على استثناء السلطان للأثار الواردة بالأمر بالصبر على جوره، وترك القيام عليه. قال ابن بطال: إنما أدخل البخاري هذه الترجمة في هذه الأبواب ليبين أن للإنسان أن يدفع عن نفسه، وماله ولا شيء عليه، فإنه إذا كان شهيداً إذا قتل في ذلك فلا قود عليه، ولا دية إذا كان هو القتال<sup>(٨)</sup>. ويؤيد هذه الأقوال ما أخرجه الإمام مسلم بسنده من حديث أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: (فلا تعطه مالك) قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: (قاتله) قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: (فأنت

(١، ٢) كلاهما مقبول، وتابعهما يحيى بن أبي المطاع وهو صدوق، أخرج حديثه ابن ماجه ١٥/١ وهو عند الترمذي من طريق السلمي وحده (الجامع ٤٤/٥).

(٣) صحابي من أهل الصفة.

(٤) الآية (٩٢) من التوبة.

(٥) أبوداود ١٥-١٣/٥.

(٦) الصحيح مع الفتح ١٢٣/٥ وأخرجه الإمام مسلم ١٢٥/١.

(٧) الجامع ٣٠-٢٩/٤ وأخرجه أبوداود ١٢٨/٥ وهو عند النسائي وابن ماجه.

(٨) ذكر هذه النقول الحافظ في الفتح ١٢٤/٥.

شهيد) قال : أرايت إن قتلتَه؟ قال : (هو في النار)<sup>(١)</sup> قال الترمذي رحمه الله : وقد رخص بعض أهل العلم للرجل أن يقاتل عن نفسه وماله ، وقال ابن المبارك : يقاتل عن ماله ولو درهمين<sup>(٢)</sup> . وإذا كان هذا مقابل المال الذي يمكن تعويضه ، فلاريب أنه أكد مقابل النفس والعرض والدين ، فإن النفس إذا تلفت لا يمكن تعويضها ، والعرض إذا خدش لا يمكن جبره ، والدين فوقهما ، ولا يليق بالمسلم أن يستسلم ويكون جباناً وفي مقابل أعز ما يملك نفسه ودينه وعرضه . فيكون الصائل المعتدي إذا بلغت مقاومته حد قتله فإنه مباح الدم لا قود فيه ولا دية ، وهذا هو الحق إن شاء الله . والحاصل أن الأصل في قتل النفس الحُرمة ، وحله لا يثبت إلا بدليل منفصل كما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

## الأحكام

قوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ .

قال الرازي رحمه الله معللاً سبب ختم الآية بهذا : لأن التكاليف الخمسة المذكورة في الآية (هذه) أمور ظاهرة جليلة فوجب تعقلها وتفهمها<sup>(٣)</sup> .

دلت الوصية الكريمة على تحريم قتل النفس المعصومة بالإسلام أو بعقد الذمة إلا بحق يوجب ذلك . وهذا أمر مجمع عليه بين أمة الإسلام ، فإن فعله إنسان متعمداً فسق ، وأمره إلى الله عز وجل إن شاء عذبه ، وإن شاء عفا عنه ، وتوبته مقبولة في قول أكثر أهل العلم .

(١) صحيح مسلم ١/١٢٤ .

(٢) الجامع ٤/٢٩ .

(٣) الرازي ١٣/٢٣٥ .

## الوصية السادسة

قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ﴾ .

المناسبة :

إن الله عز وجل رب العالمين ، فهو سبحانه مربي كل مخلوق وراعيه ، بكل ما تعنيه كلمة التربية والرعاية ، وإذا كانت رعايته شاملة لجميع مخلوقاته ، فإنها في حق بني آدم أكد وأشد ، لأنه تعالى اصطفى آدم وذريته ، وفضلهم على كثير من المخلوقات ، لذلك جاءت عناية الرب عز وجل باليتيم الصغير الضعيف الذي لا إدراك له ، ولا فهم ولا نضوج ، تامة وافية بجميع مقاييس الحفظ والرعاية ، نعم جاءت عناية الله في الوقت الذي فقد فيه هذا الصغير من يحوطه من البشر ويرعاه ، ويدفع عنه نوائب الدهر وقسوة الحياة ، فقررت قاعدة اجتماعية عظيمة ، طالما حرّمها اليتيم في المجتمعات الجاهلية ، قاعدة التكافل الاجتماعي ، التي ألقت بالمسؤولية على كواهل المسلمين الفرد والجماعة في ذلك سواء . هذا من نظام الإسلام الذي تميز بحفظ الحقوق والواجبات لجميع أفراد الجنس البشري ، فكم من يتيم ضاع في المجتمع الجاهلي ، لا يجد الساعد الذي يحميه ، ولا البيت الذي يؤويه ، تنهب أمواله ، وتنتهك حرّماته ، لذلك قيل : أضيع من الأيتام على مأدبة اللثام ، لهذه الأسباب ولغيرها من المصالح العظيمة أوصى الله عز وجل بالأيتام ، وجعل الأمة الإسلامية ذات مسؤوليات محددة تقوم بالحقوق والواجبات على مستوى الفرد والجماعة ، وأرسى قواعد التكافل الاجتماعي ، ونوه بحماية اليتيم في غير ما آية من كتابه العزيز<sup>(١)</sup> .

البحث اللغوي :

أ - المفردات :

قوله : ( ولا تقربوا ) :

من قربت الشيء أقربه إذا دنوت منه قال تعالى : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ وقال

---

(١) منها : ﴿ يسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير ﴾ الآية (٢٢٠) البقرة . وقوله ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ﴾ الآية (٢) من النساء . وقوله : ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا ﴾ الآية (١٠) من النساء .

عز وجل : ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ وتقدم قوله : ﴿ولا تقربوا الفواحش﴾ كل ما ذكر من هذا الباب . والمراد النهي عن الأسباب الموصلة إلى ما ذكر بغير حق<sup>(١)</sup> .

اليتيم : أصله الانفراد ؛ يقال درة يتيمة ، إشارة إلى انقطاع مادتها التي خرجت منها ، ويقال : بيت يتيم تشبيهاً بالدرة اليتيمة .

فاليتيم في الناس فقدان الأب ، والحيوان فقدان الأم . ويجمع على أيتام ، كشریف وأشراف ، وعلى يتامى ، كأسارى . وبه نطق الكتاب الحكيم ، وعلى يتمة ، من قولهم : يتم فهو ياتم وهو غير مسموع من العرب<sup>(٢)</sup> .

( أشده ) :

قال الفراء : واحدها شدة في القياس ، ولم أسمع لها بواحد ، وقال أبو الهيثم : واحدة الأنعم نعمة ، وواحدة الأشد شدة ، والشدة ؛ القوة والجلادة . وبلوغ الأشد ، مبلغ الرجل الحنكة والمعرفة ، وقيل : بلغ الرجل الأشد إذا اكتمل ، وذكر أنه من نحو سبع عشرة إلى الأربعين ، أو ما بين الثلاثين والأربعين<sup>(٣)</sup> .

وقد تعددت آراء المفسرين في المراد بالأشد على أقوال<sup>(٤)</sup> :

- ١ — أنه بلوغ ثلاث وثلاثين سنة ، رواه ابن جبير عن ابن عباس .
- ٢ — أنه السن ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين سنة ، قاله أبو صالح عن ابن عباس .
- ٣ — أنه أربعون سنة ، روي عن عائشة رضي الله عنها .
- ٤ — أنه ثماني عشرة سنة ، قاله سعيد بن جبير ومقاتل .
- ٥ — أنه خمس وعشرون سنة ، قاله عكرمة .
- ٦ — أنه أربع وثلاثون سنة ، قاله سفيان الثوري .
- ٧ — أنه ثلاثون سنة ، قاله السدي .
- ٨ — أنه بلوغ الحلم ، قاله زيد بن أسلم والشعبي ويحيى بن يعمر وربيعه ومالك بن أنس .

(١) ولتأنيم الغائدة انظر ( اللسان ١/٦٦٣ ) .

(٢) ولتزيد العلم انظر ( المفردات ٥٥٠ واللسان ١٢/٦٤٥ ) مع ملاحظة أن اليتيم في الناس مقيد بمن لم يبلغ الحلم .

(٣) انظر ( اللسان ٣/٢٣٥ ) .

(٤) الزاد ٣/١٤٩ .

وذكر الشيخ محمد الأمين رحمه الله : أن الأشد يتناول البلوغ ويتناول ما ذكر آنفاً وغيره  
ومن إطلاقه على الخمسين قول الشاعر :

أخو خمسين مجتمع أشدي ونجذني<sup>(١)</sup> مداورة<sup>(٢)</sup> الشئون  
وقال الألوسى رحمه الله : وأياً ما كان فهو من الشدة أي القوة أو الارتفاع من شد  
النهار إذا ارتفع ، ومنه قول عنتره :

عهدي به شد النهار كأنها خضب اللبان ورأسه بالعظم<sup>(٣)</sup>  
وقول الآخر :

تطيف به شد النهار ضعينة<sup>(٤)</sup> طويلة أنقاء اليدين سحق<sup>(٥)</sup>

والذي يظهر لي والله أعلم أن المراد بالأشد في شأن اليتيم بلوغ الحلم مع حسن  
التصرف وهو المبين في قوله تعالى : ﴿ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم  
رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ﴾<sup>(٦)</sup> . وبلوغ الحلم هو بلوغ النكاح ، لكنه مشروط بإيناس  
الرشد . فكم من كبير غير رشيد ولا يحسن التصرف وهذا ما رجحه الشوكاني رحمه الله قال :  
والأولى في تحقيق بلوغ الأشد ، أنه البلوغ إلى سن التكليف مع إيناس الرشد ، وهو أن يكون  
في تصرفاته بما له سالكاً مسلك العقلاء ، لا مسلك أهل السفه والتبذير<sup>(٧)</sup> . واستدل رحمه  
الله بالآية السابقة .

## الإيضاح

يقول تعالى في هذه الوصية : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم ﴾ إن مما حرم الله عز وجل على  
عباده مقارنة مال اليتيم والدنو منه باتخاذ الأسباب الموصلة إليه بمعنى أنه لا يجوز لمسلم أن  
يدنو من سبب يؤدي به التصرف في مال اليتيم ومقارفته والمنع موجه لكل من ولي أمر يقيم

---

(١) رجل منجذ : مجرب أحكمته الأمور . والبيت لسحيم بن وثيل . وفي أضواء البيان : أثيل ( الصحاح ٥٤٢/٢ ) ( أضواء  
البيان : ٢٧٩/٢ ) .

(٢) كالمعالجة : أي معالجة الأمور وتصريفها ، أكسبني ذلك حكمة ونباهة . ( انظر الصحاح ٤٢٣/١ ) .

(٣) بكسر العين واللام ، وسكون الظاء المعجمة ؛ صبغ أحمر ، وقيل : هو الوسمة ، شجر له ورق يختضب به .

(٤ ، ٥) أي مضعونة وهي الناقة . ومعنى سحق : طويلة . ( الصحاح ٥٧١/١ ) ( وانظر الروح ٤٩/٨ ) .

(٦) الآية (٦) من النساء .

(٧) فتح القدير ١٧٩/٢ .

مباشرة، أو بواسطة وليه أو وصيه القائم على شئونه. وهذا نهى عن جميع التصرفات التى لا تعود بنفع ولا تدفع ضرراً.

﴿إلا بالتى هي أحسن﴾ :

إلا بالصفة الحسنة وهي العمل الذي يقوم به صلاح ماله وتنميته وحفظه من الضياع، فإن الله عز وجل أباح لكل من يقوم على أمر يتيم أن يتصرف بهذا الشرط في أمواله فيصرفه فيما يعود عليه بالنفع يجتهد في رجحان مصلحته من استئثاره، والإنفاق منه على تربيته وتعليمه، وما يصلح به معاشه ومعاده، وهذا باب عظيم من أبواب الشريعة الإسلامية. ألا ترى أن الرب عز وجل من بالغ حكمته ولطفه بعباده الكافل والمكفول. نهى عن قرب مال اليتيم، لأن النهي عن قرب الشيء أبلغ من النهي عنه لأنه يتضمن النهي عن الأسباب والوسائل المؤدية إليه، والتصرفات التى توقع فيه، والنهي عن قرب الشيء يتضمن أيضاً النهي عن الشبهات التى تحتل التأويل فيه، فيجد المسلم المتقى اذ يعدها هضماً لحق اليتيم، ولا يقع فيها إلا طامع يرى أنها بالتأويل مما يحل، وهذا باب من الشر يغلق بفهم النهي عن قرب الشيء. فليحذر المسلم مواطن الانزلاق فإن فيها مكان خطر لا ينجو منها إلا من حفظه الله. والأخذ بالأحوط من أسباب الحفظ والسلامة.

﴿حتى يبلغ أشده﴾ :

هذا القيد غاية لإباحة التصرف في مال اليتيم بما يصلحه، ومن إصلاحه منع اليتيم نفسه منه حتى يكون راشداً في تصريف ماله كغيره من العقلاء. فإن الولي أو الوصي ممكن شرعاً من منع اليتيم من تبديد ماله وإضاعته، أو الإسراف فيه. فالقيد المذكور غاية لما يفهم من الاستثناء، لا للنهي كأنه قيل : احفظوا مال اليتيم حتى يبلغ، فإذا بلغ فادفعوا إليه ماله، كما في قوله عز وجل : ﴿فإن آتستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم﴾ وإن مما يجدر التنبيه إليه أن النهي عن قرب مال اليتيم عام فلا يجوز التصرف في ماله بما يفسده من قبل أي أحد ومن وقع في شيء من ذلك فإنه مؤاخذ مهما بعد وإذا كان النهي يتناول الولي والوصي بالدرجة الأولى فهو لغيرهما من باب الأولى، ثم إن على المسلم أن يحذر هذا الأمر أشد الحذر وإن يتعامل مع المسلمين وفق ما شرع الله لاسيما في هذا الزمان الذي عبدت فيه المادة وكثر أتباع الدرهم والدينار ومن تأمل هذه الوصية وما جاء في أمر اليتيم من الآيات يعلم علم اليقين ما في نظام الإسلام من سعادة وحماية لكل فرد إن حماية الأموال تقوم على أساسين هامين في حياة كل فرد :



١ - القوة المادية ؛ قوة اليد .

٢ - القوة الفكرية ؛ قوة الرشد والعقل ، وتدبير الأمور .

ومن ألقى نظرة على ما كان عليه المجتمع الجاهلي يجد أن أصحاب الأفكار المادية لا يحترمون إلا القوة ولا يخضعون إلا للأقوياء . ومن هنا نعلم الشرع حينما بالغ في الوصية باليتيم إنما يعطيه الحصانة والحفظ من أي اعتداء . وإذا كانت معاناة اليتيم في ذلك المجتمع بالغة الصعوبة فإنه في هذا العصر عصر الماديات ، والأساليب الماكرة الخادعة أحوج ما يكون إلى أن يعيش في ظل الإسلام الذي وفر له الحماية الكافية . لأن اليتيم في غير المجتمع الإسلامي لا يقدر على حماية نفسه وماله إلا إذا بلغ قوة الساعد وحصافة العقل ، وكان رشيداً في عقله وأخلاقه وتجاربه ولن يحصل مع هذا على الحماية الكافية لكثرة الغش وأساليب الحيل الماكرة . أما الإسلام فإنه يوفر له الحماية الكاملة من خلال نظامه العام . طالما هو في حاجة إليها ، ولا غنى لأحد عنها لكنه عند إيناس الرشد ، وبلوغ الحلم ، جاز له أن يستقل بنفسه والنظر لها ، لمعرفة بما يصلح شأنه ، وبصره بوجوه الأخذ والعطاء ، لأنه في هذه الحال يزول عنه اسم اليتيم ومعناه ، من الحجر وغيره ، أما إذا بلغ الحلم وهو مستمر في غرارته وسفهه ، متماد في جهالته فإنه في هذه الحال يزول عنه اسم اليتيم حقيقة ، ويبقى عليه حكم الحجر ، لقصور فكره عن إدارة شئونه . وعلى أي حال فكم للإسلام من ميزة في هذا الباب وغيره ، إن الجاهليين كانوا لا يخرجون من التصرف في أموال اليتامي ، بحق وباطل ، فيأخذون أموال اليتامي ، ويبدلونها بأموالهم ، فيقول الرجل منهم : مائة بمائة ، فنهى الله عباده عن ذلك فقال : ﴿ وَأَتُوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ﴾<sup>(١)</sup> . وكانوا يتسلطون على أموال اليتامي ؛ بالأكل والانتفاع فنهى الله عباده عن ذلك فقال : ﴿ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ﴾<sup>(٢)</sup> أي لا تضموا أموالهم إلى أموالكم لتنتفعوا بها في الأكل وغيره . وقد توعد الله عز وجل أكلة أموال اليتامي قال تعالى : ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً ﴾<sup>(٣)</sup> وقد خرج النهي عن الأكل مخرج الغالب ؛ وإلا فالاحراق والاغراق وكل اتلاف له محرم شرعاً ولا يدخل في هذا ما أباح الله للولي الفقير أن يأكل بالمعروف<sup>(٤)</sup> . لأن الإباحة مشروطة بأن يكون فقيراً ، وأن يأكل بالمعروف .

(١) الآية ٢ من النساء .

(٢) الآية ١٠ من النساء .

(٤) لمزيد العلم انظر ( الروح ) ٤٥ / ٨ ، المنار ١٩٠ / ٨ ، الأحكام ٣٠٨ .

وقد نوهت السنة النبوية بشأن كافل اليتيم على النهج الذي رسمه الشارع الحكيم فقد جاء في أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » وقال بأصبعيه السبابة والوسطى (١). فأني تكريم أعظم من هذا، وأي ثواب أجزل، وحق لكافل اليتيم أن يبالغ في الحفظ والرعاية، فإنه يحوط من لا يعقل أمر دينه ولا دنياه، فيرشده إلى الخير، ويعلمه أسباب الصلاح والنجاح، ويحسن معاملته وتربيته، ويرعى مصالحه، ويدير شؤنه بمنتهى الأمانة والإخلاص، فظهرت مناسبة عقد ذلك القرب من رسول الله ﷺ.

## الأحكام

- ١ - تحريم الاعتداء على مال اليتيم، وجاء التعبير بالنهي عن القرب ميالغة في الزجر ليشمل كل سبب يجر إلى اعتداء عليه، أو إتلاف له.
- ٢ - يستظهر من الوصية أن النهي عام يشمل الأولياء والأوصياء وكافة الناس، وإلا لما تحققت الحماية التي هي مقصود الشرع.
- ٣ - إباحة التصرف في مال اليتيم بما يصلحه وينميه، مع الأخذ بالأحوط وعدم المجازفة.
- ٤ - وجوب دفع مال اليتيم كاملاً غير منقوص عند بلوغه الحلم وإيناس الرشد منه، وتمكنه من حفظه والتصرف فيه تصرفاً معقولاً.

## الوصية السابعة

قوله تعالى : ﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها ﴾ .

المناسبة :

جاءت الوصايا السابقة مؤكدة أن المجتمع السليم لا يقوم إلا على تلك الأسس العظيمة ؛ بناء العقيدة النقية، صيانة المجتمع في النفس، والعرض والمال، وهنا نتحدث الوصية عن أمر لا يقل أهمية عما سبق إذ أن أفراد أي مجتمع لابد لهم من تبادل المنافع والسلع

(١) الصحيح مع الفتح ٤٣٦/١٠.

ولا ريب أن إشاعة الثقة بين أفراد المجتمع ونشر بنود العدل على ربوعه لا تتجلى في أسمى معانيها إلا إذا نبعت من عقيدة صحيحة وتجسدت في تعامل نظيف بين أفرادها، لذلك جاءت هذه الوصية تؤكد هذا الجانب الهام من جوانب بناء المجتمع السليم، ولقوة الصلة بين العقيدة والمعاملات، اعتنت هذه الوصايا بقضية العقيدة والعبادة وربط المعاملات بها، نقضاً لما كان عليه المجتمع الجاهلي من الفصل بين العقيدة والعبادات، وبين الشرائع والمعاملات، وهذا المبدأ الذي رفضه الإسلام وأماته، يسعى اليوم دعاء الشر والجاهلية إلى إعادته وإحيائه، وهو ما يسمونه بفصل الدين عن الدولة، وذلك مبدأ هدام، وفكرة خطيرة، ونجاحها في المجتمع الإسلامي كفيل بتقويضه وإحياء الجاهلية الأولى على أنقاضه، وليس عندي أدنى شك في أن محاربة تلك الأفكار وبيان فسادها من الجهاد في سبيل الله.

## البحث اللغوي :

### المفردات :

(أوفوا) : أي أتموا ولا تنقصوه. والوافى الذي بلغ التمام ولم يعثره نقص<sup>(١)</sup>.

(الكيل) : المراد : المكيل أي الشيء الذي يكال، وهذا من إطلاق الصفة على الموصوف والمكيل : أداة الكيل، كالد والصاع<sup>(\*)</sup>.

(الميزان) : المراد : الموزون من إطلاق اسم المحل على الحال. فالميزان آلة الوزن - مثل (الكيلو) والجرام) وبهذه المناسبة يحسن أن نذكر حديثاً أخرجه أبو داود رحمه الله قال : حدثنا عثمان بن أبي شيبة<sup>(٢)</sup>، حدثنا ابن دكين<sup>(٣)</sup>، حدثنا سفيان<sup>(٤)</sup>، عن حنظلة<sup>(٥)</sup>، عن طاووس<sup>(٦)</sup>، عن ابن عمر قال : « قال رسول الله ﷺ : الوزن وزن أهل مكة، والمكيل مكيل أهل المدينة »<sup>(٧)</sup> هذا الحديث تنوعت أقوال العلماء فيه فذهب بعض العلماء في فكره مذهباً بعيداً إذ فسر هذا الحديث بأن رسول الله ﷺ أراد بهذا القول أن يضع قاعدة عامة

(١) لمزيد الفائدة ( انظر المفردات ٥٢٨، اللسان ٣٩٩/١٥ ).

(\*) للفائدة انظر اللسان ٦٠٤/١١.

(٢) عثمان بن محمد نسب إلى جده الأبعد، ثقة حافظ له أوهام.

(٣) الفضل بن دكين عمرو بن حماد، ثقة ثبت.

(٤) ابن سعيد الثوري، ثقة، إمام، حجة، ربما دلس.

(٥) ابن أبي سفيان، الجمحي، ثقة، حجة.

(٦) ابن كيسان، البجلي، ثقة، فقيه، فاضل.

(٧) السنن لأبي داود ٦٣٣/٣.

يضبط الناس بها معاملاتهم وزناً وكيلاً، فجعل ميزان أهل مكة ومكيال أهل المدينة أساساً لمقادير الأوزان العالمية المتنوعة في البلدان بحسب تنوع الأعراف فيها، ولا ريب أن تنوع الأعراف غالباً ما يكون سبباً في الاختلاف لاسيما في المعاملات، ففهم صاحب هذا الرأي أن الحديث الشريف جاء حاسماً لأي اختلاف قد يطرأ مرشداً إلى ما يحدد المقدار مما يكال ويوزن وذلك بالرجوع إلى ميزان أهل مكة، ومكيال أهل المدينة فتخضع جميع مقادير الموازين العالمية عند الاختلاف لمقدار ميزان أهل مكة، ويخضع جميع مقادير المكايل العالمية لمقدار مكيال المدينة. والحق أن من ذهب إلى هذا الفهم وأول الحديث الشريف عليه قد أبعد النجعة ولم يحالفه الصواب. إذ أن ما عليه أكثر الفقهاء وعلماء الأمصار خلاف هذا الفهم، ولأن الشريعة الإسلامية لم تغفل العرف وجعلت له دوراً في حل كثير من القضايا وبيان ذلك لو أن رجلاً أقر لرجل بموزون أو مكيل لكن وقع بينهما خلاف في المقدار، فإن الشرع في هذه الحال يعطى العرف دوره في حل هذا الاختلاف وذلك بأن يحكم في تحديد المقدار بما تعارف عليه أهل البلد الذي تم فيه التعامل وهو حكم لا غبار عليه. والأمر الهام الذي جاء الحديث الشريف ليعطى فيه قاعدة شرعية هو نوع واحد من الموزون ذلك النوع هو الذهب والفضة لأن هذا النوع يتعلق به حكم شرعي، هو وجوب الزكاة، أو عدمه. بخلاف غيره مما يتعلق بمعاش الناس، وما يتعاملون به في البيع والشراء، ولما كان المضروب من الذهب والفضة يختلف باختلاف الأمصار<sup>(١)</sup> ويتعلق به الحكم الشرعي تدخلت السنة المطهرة لتضع قاعدة تحدد مقداراً ترجع إليه الأمة في تحديد ما يجب شرعاً، فجعلت ميزان أهل مكة مرجعاً يحسم اختلاف الناس في الذهب والفضة خاصة، وكذلك قوله ﷺ : « والمكيال مكيال أهل المدينة » أراد به نوعاً خاصاً وهو الصاع الذي يتعلق به حكم شرعي فبه تقدر زكاة الحبوب، وصدقة الفطر، وتقدر النفقات، وحكم الأمة في هذه الأمور واحد وإن تعددت البلدان ونأت بهم الديار، وتنوع المكايل بحسب تنوع الأعراف، فلكل بلد

(١) منها : البعل : وهو ثمانية دوانيق.

ومنها : الطبري : وهو أربعة دوانيق.

ومنها : الخوارزمي نسبة إلى خوارزم.

ومنها : الدرهم الوزان ؛ وهو من دراهم الإسلام الجائز بين الناس في عامة البلدان. وهو ستة دوانيق، وهو نقد أهل مكة،

ووزنهم الجائز بينهم.

وما تجدر الإشارة إليه أن أهل المدينة كانوا يتعاملون بالدرهم عدداً وقت مقدم رسول الله ﷺ ويؤيد هذا أن عائشة رضي الله عنها قالت لبريرة في شأن ثمنها : ( إن شاء أهلك أن أعد لها عدة واحدة فعلت ). فأرشد النبي ﷺ الناس إلى الوزن في الدراهم والدنانير، وجعل العيار وزن أهل مكة، دون ما يتفاوت وزنه منها في سائر البلدان. لمزيد العلم انظر ( معالم السنن مع سنن أبي داود ٣٣٦-٦٣٣/٣ ).

عرفه في ما يكال<sup>(١)</sup> ويوزن ، لكنه مقيد بنوع خاص يرجع فيه إلى ميزان مكة وهو الذهب والفضة . وإلى مكيال المدينة وهو الصاع للوفاء بالحكم الشرعي<sup>(٢)</sup> .

القسط : المراد به هنا العدل ؛ وهو بكسر القاف تقول : أقسط الرجل فهو مقسط ؛ ومنه قوله تعالى ﴿ ليجزي الذين آمنوا و عملوا الصالحات بالقسط ﴾<sup>(٣)</sup> . وقوله عز وجل : ﴿ وأقيموا الوزن بالقسط ﴾<sup>(٤)</sup> . وقوله : ﴿ إن الله يحب المقسطين ﴾<sup>(٥)</sup> . ومن معانيه المكيال ، وقدره نصف صاع . والحصة والنصيب تقول : تقسطنا الشيء بيننا .

والقسط بفتح القاف ؛ المراد به الجور والعدول عن الحق ، وإذا أخذ حق غيره وظلم وجار ، سمي قاسطاً ؛ من قسط يقسط بكسر السين قسوطاً قال الله تعالى : ﴿ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ﴾<sup>(٦)</sup> .

الوسع : المراد به هنا القدرة والطاقة في تحرى العدل والوفاء<sup>(٧)</sup> .

## الإيضاح

هذا المبدأ الاجتماعي الهام قرره رب العزة والجلال في أكثر من موضع في كتابه العزيز ومنها ما نحن بصدد بيانه قال تعالى : ﴿ وأوفوا الكيل والميزان ﴾<sup>(٨)</sup> . فكأن نبي الهدى والرحمة المبلغ عن الله عز وجل يقول : وما أتلوا عليكم أيها المسلمون من وصايا ربكم أن أوفوا الكيل إذا كلتم للناس ، أو اكتلتهم عليهم لأنفسكم وأوفوا الميزان إذا وزنتم لأنفسكم

---

(١) قال الخطابي رحمه الله : وللناس صيعان مختلفة ، فصاع أهل الحجاز خمسة أرتال وثلاث بالعراقي ( ٥ ١/٥ ) وصاع أهل البيت - فيما يذكره زعماء الشيعة - تسعة أرتال وثلاث ( ٩ ١/٩ ) وصاع أهل العراق ثمانية أرتال ؛ وهو صاع الحجاج الذي سعره على أهل الأسواق ، ولما ولي خالد بن عبد الله القسري العراق ضاعف الصاع فبلغ به ستة عشر رطلا . فإذا جاء باب المعاملات حملنا - كل صاع على عرف بلده - وإذا جاءت الشريعة وأحكامها فهو صاع المدينة . ( معالم السنن ٦٣٦/٣ ) .

(٢) هذا ملخص ما ذكر الخطابي رحمه الله ( المصدر السابق ٦٣٣/٣ ) .

(٣) الآية ٤ من سورة يونس .

(٤) الآية ٩ من سورة الرحمن .

(٥) الآية ٤٢ من سورة المائدة .

(٦) الآية ١٥ من سورة الجن . ولزيد العلم انظر ( المفردات ص ٤٠٣ والصحاح ٣٠٦/٢ ) .

(٧) للتوسع في المعنى انظر ( الصحاح ٦٨٨/٢ واللسان ٣٩٢/٨ والمفردات ص ٤٠٣ والرازي ٢٣٤/١٣ ) .

(٨) الآية ١٥٢ من سورة الأنعام .

فما تبتاعون، أو لغيركم فيما تبيعون، فليكن كل ذلك وافياً تاماً بالعدل لكم أو عليكم، ولا تكونوا من المطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون. ينقصون الكيل ويبخسون الوزن وهم الذين توعدهم الله عز وجل بالويل والهلاك<sup>(١)</sup>. وهذا النهي مفهوم من الأمر بالإيفاء فهو مقابل له ولازم له لأن الإيفاء يستلزم عدم النقص بأي حال من الأحوال والنقص يستلزم عدم الإيفاء. وقد تقدمت الإشارة إلى ما قرره رب العزة والجلال من النهي عن التطفيف في سورة المطففين.

وقوله عز وجل: ﴿بِالْقِسْطِ﴾ فيه لفظة هامة إلى أن الإيفاء لا يكفي أن يكون من طرف واحد بل لابد أن يكون من الجانبين في حالة الأخذ والإعطاء. أي أوفوا مقسطين أو ملاسين للقسط متحرين له، فدل على أنه يجب على الإنسان أن يرضى لغيره ما يرضى لنفسه وهذا ما قرره السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم إذ ثبت عنه أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»<sup>(٢)</sup>. وقد تواتر الأمر بإيفاء الكيل والميزان وكل كلام الله عز وجل متواتر فقال: ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾<sup>(٣)</sup> وقال تعالى: ﴿وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾<sup>(٤)</sup>. ومن يتأمل كتاب الله عز وجل يجد أن الله عز وجل قد قصص على هذه الأمة فيما قص من أنباء الأمم لتحصل لنا العبرة ويكمل الوعظ بما حدث لتلك الأمم ومن ذلك أنه عز وجل أهلك قوم شعيب ودمر مساكنهم وأبادهم بما كان من ظلمهم وفسادهم، وكان أمره عز وجل جزاء وفاقاً لتكبرهم وعنادهم، طففوا الكيل وعموا وصموا عن سماع الحق فكان عاقبة ذلك الخسران المبين ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم، بلى إنهم موقوفون وعلى أعبائهم محاسبون ومجزيون الجزاء الأوفى. وحينما يتأمل الناظر في هذه الآيات قد يظهر له أن إيفاء الكيل والميزان هو القسط عينه فيتساءل عن فائدة هذا التكرار. والجواب عن ذلك أن في هذا التعبير لفظة ظريفة وهي أن يعلم المعطي أن الواجب عليه أن يؤدي الحق لصاحبه كاملاً غير منقوص، فلا يطمع في استبقاء شيء منه وإن قل، وليعلم الآخذ أن له أن يأخذ حقه كاملاً من غير طمع في الزيادة وإن قلت وهذا عين القسط وتام الإيفاء<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر سورة المطففين.

(٢) أخرجه الإمام البخاري انظر (الصحيح مع الفتح ٥٧/١).

(٣) الآية ٣٥ الإسراء.

(٤) الآية ٩ من سورة الرحمن.

(٥) الرازي ٢٣٤/١٣.

قوله تعالى : ﴿ لا تكلف نفساً إلا وسعها ﴾<sup>(١)</sup>.

هذه الجملة الكريمة مستأنفة كشف الله بها غمة عظيمة ، وهون ما قد يجيش في نفس المسلم الورع فقد يتوهم أن الإيفاء واجب على التحقيق لاسيما وقد أردف بقوله : ﴿ بالقسط ﴾ فيظن أن المراد كمال الإيفاء المطلق بحيث لا يزيد على ما يستحقه صاحب الحق أدنى زيادة ، ولا ينقص منه أقل القليل ، ولاريب ان تحقيق هذا صعب جداً ولا يمكن الوفاء على هذا النحو ، فتحقيق الوفاء بالقسط أمر دقيق جداً ولا يتحقق في كل مكيل وموزون إلا بآلات بالغة في الحساسية ودقة الوزن والكيل إلا أن يكون ذلك بموازين الذهب التي تضبط الوزن بأقل ما يمكن وزنه أو بأجهزة ( الكمبيوتر ) البالغة الدقة وهذا فيه عنت وخرج على الأمة الإسلامية ولا يمكن أن تتوفر هذه الموازين لكل فرد من المسلمين وإن وجدت في عصر ما خلت منها عصور ، فكانت رحمة العليم الخبير بشئون عباده تجلّل عباده توسعة عليهم ورفعاً للخرج ، وليزيل ما قد يرد على صدور الأتقياء منهم من هواجس فقال تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾<sup>(٢)</sup> وهنا يفهم المسلم أن الله عز وجل لا يكلف عبداً إلا ما يسعه فعله ، بأن يؤدي ما كلف من غير عسر ولا حرج ، فهو لا يكلف من يشتري أو يبيع أنواع الحبوب والفواكه وغيرها من الأقوات أن يكون كيـله ووزنه على ما تقدم من الوصف في الدقة والكمال بحيث لا يزيد حبة ولا ينقص مثقالاً ، بل هو مكلف أن يكون كيـله ووزنه منضبطاً في بيعه وشرائه على حد سواء وعلى القدر الذي تعارف الناس ويكون معتقداً أنه أوفى الناس حقوقهم ولم يتطرق الظلم إلى معاملاته بزيادة أو نقص يعتد به عرفاً ، ويبرز هذا المنهج جلياً للناظر ، أنه قاعدة في اليسر عظيمة ، وأساس في رفع الحرج عن هذه الأمة ، فحصر التكليف بها في وسع المكلف غاية في التيسير ، والبعد عن المؤاخذه فيما يقابل ذلك ، وهذا من أعظم مقاصد الدين الإسلامي الذي جاء به محمد ﷺ رحمة للعالمين ، فهلا نبذ المسلمون حاكمون ومحكومون القوانين الوضعية ، واستناروا بسراج الحق والهداية لتستقيم أمور معاملاتهم ، وتسود الثقة والأمانة فيما بينهم ، وليكونوا قدوة لغيرهم من الأمم في الخير ، وحجة على المطففين والمفسدين ، وما فسدت أمور المسلمين في عصر من العصور ، وقلت ثقتهم بأنفسهم ، واحتلت ثقتهم بالأجانب مكاناً رفيعاً من أنفسهم إلا بسبب البعد عن منهج الله ، والخضوع للقوانين المستوردة فأعرضوا عما أوصاهم به العليم الخبير وحثهم على التمسك به البشير النذير .

(١) الآية ١٥٢ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ٢٨٦ من سورة البقرة .

## الأحكام

١ - وجوب بذل الجهد في إيفاء الحقوق على أتم ما يمكن .

٢ - يفهم من الأمر بالإيفاء تحريم النقص ويتأيد هذا الفهم بقوله تعالى : ﴿... فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾<sup>(١)</sup> .

٣ - أن من تحرى الحق واجتهد في الوصول إليه ولم يصبه فلا لوم عليه ولا عقاب ويتأيد هذا الفهم بقول رسول الله ﷺ : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر »<sup>(٢)</sup> .

٤ - جواز الاجتهاد في الأحكام والآية الكريمة أصل في ذلك وحديث معاذ رضي الله عنه يؤيد هذا الفهم<sup>(٣)</sup> .

## الوصية الثامنة

قوله تعالى : ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ﴾ .

المناسبة :

إن المتأمل في الوصية السابقة وهي الأمر بالإيفاء وتحري الكمال في أداء الحقوق وأخذها، قد يرى مناسبة للربط بين الوصيتين؛ وهي أن إيفاء الحقوق لا يقوم إلا على ركيزة أساسية في المجتمع المسلم، وهي مبدأ العدالة في الحقوق والواجبات، المتعلقة بسائر المعاملات التجارية وغيرها، لكنه خص المعاملات التجارية في الوصية السابقة، ثم أردف بالأمر بالعدل والتزام الانصاف في المعاملات القولية، الشاملة للشهادات والأمور القضائية، وغيرها مما يتعلق باظهار الحق وإشهاره بين أفراد المجتمع المسلم، مع قطع النظر عن أي مؤثر آخر يخرج عن التزام المنهج السوي في الجهر بالحق وإيصاله إلى ذويه، حتى ولو كان من المؤثرات رابطة النسب أو وشائج القربى فليس لها وزن في مقابل الانصاف والتخلق بهذه الخلقة العالية الرفيعة . وفي نظري أن الوصيتين هنا من باب عطف العام على الخاص .

(١) الآية ٨٥ من سورة الأعراف .

(٢) أخرجه الإمام البخاري (الصحيح مع الفتح ٣١٨/١٣) .

(٣) أخرجه أبو داود (السنن ١٨/٤) وفيه كلام .



## البحث اللغوي :

العدل : ما قام في النفس أنه مستقيم . وهو ضد الجور . وفي أسماء الله عز وجل العدل ؛ وهو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم ، وهو في الأصل مصدر سمي به ، فوضع موضع العادل ، وهو أبلغ منه ، لأنه جعل المسمى نفسه عدلاً . والعدل ؛ الحكم بالحق ، يقال : هو يقضى بالحق ويعدل ، وهو حكم عادل ، ذو معدلة في حكمه<sup>(١)</sup> .

القربى : القرابة والقربى : الدنو في النسب ، والقربى في الرحم ، وفي التنزيل العزيز ﴿ والجار ذي القربى ﴾<sup>(٢)</sup> وأقارب الرجل ، وأقربوه ؛ عشيرته الأدنون . وفي التنزيل العزيز ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾<sup>(٣)</sup> وجاء في التفسير أنه لما نزلت<sup>(٤)</sup> هذه الآية صعد الصفا ، ونادى الأقرب فالأقرب ، فخذاً فخذاً<sup>(٥)</sup> .

## الإيضاح

لما قرر عز وجل أهمية الإيفاء وخصه بوصية تنوياً بشأنه العظيم في إصلاح المجتمع فهذا النوع من التعامل الاجتماعي من أبرز ما يحصل به الاحتكاك بين أفراد المجتمع في حياتهم اليومية نوه سبحانه بالأساس الذي يقوم عليه أمر إيفاء الحقوق وهو العدل في كل شأن من شؤون الحياة ، ولعل ذكر القول هنا دون غيره إشارة إلى أن القول والتخاطب هو العامل الرئيسي في المعاملات ، فأراد رب العزة والجلال أن يقرر أن وسيلة التعامل هذه يجب أن تكون مبنية على الأساس الذي يحفظ الحقوق وهو العدل فكما أن العدل واجب في الأفعال كالأوزان والمكاييل ، فهو كذلك واجب في الأقوال التي تبنى عليها المعاملات بين أفراد المجتمع ، لأن العدل أساس عظيم تصلح به شؤون البشرية جمعاء ، فالعدل أساس المدنية ، وركن تقوم عليه حضارة الأمة ، وبه يشمخ البناء ، وتعلو صروح الفضيلة في المجتمع ، وهو أساس دوام الملك ، والمحور الذي يرتكز عليه النظام الإنساني في كل ما يتعلق بحياة هذا المخلوق ، فيقرر الرب سبحانه وتعالى أنه لا يجوز لمؤمن أن ينتهك حمى العدل

(١) اللسان ١١/ ٤٣٠ .

(٢) الآية ٣٦ من سورة النساء .

(٣) الآية ٢١٤ من سورة الشعراء .

(٤) ابن كثير ٣/ ١٤٩ .

(٥) اللسان ١/ ٦٦٧ وانظر صحيح مسلم ١/ ١٩٢ رقم ٣٥٠ .

محابة لقراءة ، فضلاً عن المصالح الدنيوية التي تعادي منهج العدل وتنازله ، ونجد نبي الهدى ﷺ يؤكد أن من الصفات المنجية تحقق العدل لدى المسلم على كل حال فيقول ﷺ : « ثلاث منجيات ؛ خشية الله تعالى في السر والعلانية ، والعدل في الرضا والغضب ، والقصد في الفقر والغنى . . . » الحديث<sup>(١)</sup> . وقد فصل الله عز وجل هذا الأمر الموجز في آيتين مدنيتين فقال وهو أصدق القائلين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> والثانية قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> . وهذه الآية الكريمة نصت على معنى الحديث الآنف الذكر ولو رغبتنا في التعرض لنفحات الخير والحصول على الأدب الرفيع الذي أمر به الرب الكريم في هاتين الآيتين لطالت بنا الوقفة غير أني أذكر تحليلاً لطيفاً للشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله قال : القوام هو المبالغ في القيام بالشيء ، وهو الاتيان به مقوماً تاماً لا نقص فيه ولا عوج ، وقد حذف هنا ما أمرنا بالمبالغة في القيام به فكان عاماً شاملاً لجميع ما أخذ علينا الميثاق به من التكاليف حتى المباحات ، أي كونوا من أصحاب الهمم العالية ، وأهل الاتقان ، والاخلاص لله تعالى في كل عمل تعملونه ، من أمر دينكم أو أمر دنياكم .

ومعنى الاخلاص لله في أعمال الدنيا : أن تكون بنية صالحة ، بأن يريد العامل بعمله خيراً ، والتزام الحق من غير شائبة اعتداء على حق أحد ، أو إيقاع ضرر به . ومنطلق هذا القول قوله ﷺ : الأعمال بالنية<sup>(٤)</sup> . والشهادة بالقسط معروفة ، وهي أن تكون بالعدل بدون محابة مشهود له ، ولا مشهود عليه ، لا لقربته وولائه ، ولا لماله وجاهه ، ولا لفقره ومسكنته ، فالشهادة هنا عبارة عن اظهار الحق للحاكم ليحكم به ، أو اظهاره بالحكم به ، أو الاقرار لصاحبه . - وهذا عين العدل في القول - .

والقسط : هو ميزان الحقوق ، متى وقعت فيه المحابة والجور - لأي سبب أو علة من العلل - زالت الثقة من الناس ، وانتشرت المفساد وضروب العدوان بينهم ، وتقطعت الروابط الاجتماعية ، وصار بأسهم بينهم شديداً<sup>(٥)</sup> . والشيخ رشيد رضا رحمه الله سبقه الإمام

(١) حققه محدث هذا الزمان الشيخ الألباني وحكم له بالحسن ( صحيح الصغير ٦٥/٣ ) .

(٢) الآية ١٣٥ من سورة النساء .

(٣) الآية ٨ من المائدة .

(٤) أخرجه البخاري وغيره ( الصحيح مع الفتح ١٣٥/١ ، ١٦٠/٥ ) .

(٥) تفسير المنار ٢٧٣/٥ .

الرازي رحمه الله إلى الحديث عن هذه الشمولية فقال : واعلم أنه يدخل تحت قوله : ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ﴾ كل ما يتصل بالقول، فيدخل فيه ما يقول المرء في الدعوة إلى الدين، وتقدير الدلائل عليه، بأن يذكر الدليل ملخصاً عن الحشو والزيادة، بألفاظ مفهومة معتادة، قريبة من الأفهام، ويدخل فيه أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واقعاً على وجه العدل، من غير زيادة في الإيذاء والإيحاء، - ومن غير - نقصان عن القدر الواجب، ويدخل في الحكايات التي يذكرها الرجل حتى لا يزيد فيها ولا ينقص منها، ومن جملتها تبليغ الرسائل عن الناس، فإنه يجب أن يؤديها من غير زيادة ولا نقصان<sup>(١)</sup> فما أجملها من شمولية في القول، وما أوضحها من شمولية في الفهم، وما أسعد من تخلق بها.

## الأحكام

- ١ - وجوب تحري العدل وصدق القول في كل شأن ومن ذلك القول في المعاملات، والشهادات، والأحكام، والأخبار، وغير ذلك ففي الحديث « إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً »<sup>(٢)</sup>.
- ٢ - تحريم المحاباة وأنها من الأعمال الرخيصة والمنافية لما أمر الله به . وتقدم بيان ذلك في الوصية وما في معناها من الكتاب والسنة .

## الوصية التاسعة

قوله تعالى : ﴿ وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾ .

المناسبة :

من خلال التدبر لما تقدم من الوصايا نجد أنها فصلت ما يجب للمسلم من الحقوق، وما عليه من الواجبات، فأرست بذلك قواعد ثابتة لبناء الأمة بناء يناسب ما أوجدها الله عز وجل من أجله ؛ وهو إقامة العدل في الأرض، وإشاعة المساواة بين بني الإنسان، وقد جاءت هذه الوصية بعد ذلك البيان واضحة خاتم العقد بين العبد وربّه عز وجل على ما تقدم

(١) الرازي ٢٣٥/٣ .

(٢) الصحيح مع الفتح ٥٠٧/١٠ .

تقريره، فيكون ذلك ميثاقاً موثقاً بعهد الله سبحانه وتعالى، الذي عهد إلى عباده العمل بتلك الوصايا، وأخذ عليهم الميثاق الذي يسألون عنه في يوم يندم فيه من فرط، وجاءت هذه الوصية خاصة بالأمر بالوفاء بالعهد، لأن عهد الله شامل لكل ما تقدم وهو بمثابة الخاتم الذي توثق به العقود.

## البحث اللغوي :

العهد : كل ما عوهد الله عليه، وكل ما بين العباد من المواثيق فهو عهد . - والمراد به هنا - كل ما أمر الله به في هذه الآيات ونهى عنه - فقد عهد إلى عباده فعل المأمور وترك المحذور -.

أوفوا : وفي بعهد، يفى وفاء، وأوفى ؛ إذا أتم ولم ينقص . وهو ضد الغدر<sup>(١)</sup>. ووفى وأوفى بمعنى وقد جمعها طفيل الغنوي في بيت واحد في قوله :

أما ابن طوق فقد أوفى بدمته كما وفى بقلاص النجم حادياً<sup>(٢)</sup>

وصى : من الوصية، وهي من الله عز وجل : ما عهد إلى العباد أن يعملوه، من فعل خير، أو ترك شر، فهي بمعنى فرض ( ذلكم وصاكم به ) أي أمركم به وفرضه عليكم<sup>(٣)</sup>.

تذكرون : الذكر والذكرى والتذكر؛ خلاف النسيان . وفهمي لهذا أن قوله تعالى : ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ أي أوصيتكم بذلك وفصلته لكم لتستمر ذكراه في أذهانكم، فلا تقعوا فيما يخالفه ويناقضه، ففي اللفظ تحذير من الغفلة التي كثيراً ما يقع فيها الإنسان .

والتذكر : تذكر ما أنسيته، وذكرت الشيء بعد النسيان، وذكرته بلساني، وبقلبي، وتذكرته، وأذكرته غيري، وذكرته بمعنى<sup>(٤)</sup> وفيها معنى الاتعاظ والاعتبار فإذا حصل هذا للعبد فهو عين التذكر، والله أعلم .

## القراءات :

قال الرازي رحمه الله : قرأ حمزة، والكسائي، وحفص، عن عاصم ( تذكرون ) مخففة، من

(٢،١) اللسان ٣/٣١١، ٣٩٨/١٥ .

(٣) لمزيد المعرفة انظر ( اللسان ١٥/٣٩٤ . . . والمنار ٨/١٨٨، ١٨٩ ) .

(٤) اللسان ١٥/٣٠٩ .

الذكر، والباقون : بتشديد الذال، في كل القرآن، وهما بمعنى واحد<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله : . . . وليس هما بمعنى واحد كما قيل، فإن الصيغ من المادة الواحدة تعطى معاني خاصة، ويتجاوز في بعضها ما لا يصح في بعض، فالذكر في الأصل يطلق على إخطار معنى الشيء، أو خطوره في الذهن، ويسمى ذكر القلب، وعلى النطق باللفظ الدال عليه، ويسمى ذكر اللسان، ويستعمل مجازاً بمعنى الصيت والشرف، ويفسر به قوله تعالى : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾<sup>(٢)</sup>. ويطلق بمعنى العلم وبه يسمى القرآن، دون غيره من الكتب الإلهية (ذكرًا) ومنه قوله تعالى : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾<sup>(٣)</sup>.

وأما التذكر : فمعناه تكلف ذكر الشيء في القلب، أو التدرج فيه بفعله المرة بعد المرة ويطلق على الاتعاظ ومنه قوله تعالى : ﴿ وما يتذكر إلا من ينيب ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله : ﴿ سيدكر من يخشى ﴾<sup>(٥)</sup> والشواهد عليه في الذكر كثيرة. ومثله الادكار؛ - قال تعالى - : ﴿ فهل من مدكر ﴾<sup>(٦)</sup> وهو افتعال من الذكر، الافتعال يقرب من التفعّل . . .

وحكمة القراءتين؛ إفادة المعاني التي تدلان عليها، من باب الإيجاز البليغ<sup>(٧)</sup>.

## الإيضاح

مما تقدم بيانه يتضح لنا أن تلك الأوامر والنواهي، وتلك الأسس الاجتماعية، ما هي إلا أجزاء بنود عقد أقامه الرب سبحانه وتعالى بينه وبين عباده، ويتمثل ذلك العقد في القيام بتلك الأوامر والنواهي فعلاً وتركاً، والعهد شامل لكل ما عهده الله إلى الناس كافة على السنة الرسل، فطلب من هذه الأمة الوفاء بما عهد إليها فقال : ﴿ وبعهد الله أوفوا ﴾ فالوفاء بما تقدم وبكل عهد بين العبد وربّه مطلوب شرعاً، وهذا معلوم لكل من استخدم ما آتاه الله من عقل، وفطرة سليمة، والوفاء بالعهد يشمل أيضاً ما يعاهد الناس عليه بعضهم

(١) الرازي ١٣/٢٣٥.

(٢) الآية ٤٤ من سورة الزخرف :

(٣) الآية ٧ من سورة الأنبياء.

(٤) الآية ١٣ من سورة غافر.

(٥) الآية ١٠ من سورة الأعلى.

(٦) الآية ١٥ من سورة القمر.

(٧) المنار ٨/١٩٣.

بعضاً، مما ليس فيه مخالفة لشرع الله عز وجل، ومما يدل على شمولية العهد قوله تعالى : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ﴾ (١) وقال : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان ﴾ (٢) وقال : ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ﴾ (٣) وقال : ﴿ أوكلمها عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم ﴾ (٤) وقال في صفات المؤمنين : ﴿ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ﴾ (٥) فكل ما عهد به الله عز وجل إلى عباده، وكل ما شرعه للناس، فهو من عهده عز وجل إليهم، وكل من آمن برسول من رسل الله، فقد عاهد الله على الإيمان به والاتباع له، ويتجلى ذلك في السمع والطاعة، وامتنال الأمر بالفعل، والنهي بالترك.

ولاريب أن ما يلتزمه الإنسان من عمل البر بنذر، أو يمين يعقدها، فإن ذلك عهد عاهد ربه عليه، يجب الوفاء به، وعدم الوفاء ليس من خلق المسلم، لذلك وصف الله به المنافقين فقال : ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به ﴾ (٦) وما تجدر الإشارة إليه، أن كل من عاهد إماماً (٧) على السمع والطاعة فيما هو معروف، أو عاهد غيره على القيام بعمل يتفق مع الشرع، أنه يجب الوفاء به، وبه تطالب شريعة الله عز وجل، وكذلك ما يبرم من اتفاقات ومعاهدات بين الدول يجب السوفاء بها وعدم الإخلال بشيء منها ما لم تكن مخالفة لشرع الله عز وجل. وللاهتمام بهذا المبدأ الشامل العظيم جاء تقديم معمول الفعل ( أوفوا ) عليه، وهو أسلوب عربي يظهر عند إرادة لفت النظر إلى أهمية الأمر المتكلم عنه، وللدلالة على إرادة حصر الوفاء بالعهد في كل عهد يرضى الله عز وجل ويوافق شرعه، ويخرج ما لا يرضيه سبحانه من العهود؛ كنذر الحرام، والحلف على إتيانه، وما يقع بين الدول من عهود لا ترضى الله عز وجل ولا تتفق مع شرعه، وغير ذلك مما فيه إضرار بمصالح المسلمين. وقد عظم سنة رسول الله ﷺ هذا الأمر، وجعلت الإخلال به من صفات المنافقين من ذلك ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو، أن النبي ﷺ قال : « أربع من كن فيه

(١) الآية ١١٥ من سورة طه.

(٢) الآية ٦٠ من سورة يس.

(٣) الآية ٩١ من سورة النحل.

(٤) الآية ١٠٠ من سورة البقرة.

(٥) الآية ١٧٧ من سورة البقرة.

(٦) الآية ٧٥ من سورة التوبة.

(٧) أردت بالإمام رأس الدولة الحاكم الشرعي وهو التعبير الإسلامي.

كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها؛ إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»<sup>(١)</sup>. وهذا غيض من فيض.

قوله تعالى : ﴿ ذلکم وصاکم به لعلکم تذكرون ﴾ .

الإشارة إلى ما تقدم من الوصايا، وما فيها من الأمر والنهي، وتلك الوصايا لاريب أن من تدبرها وتذكرها أدرك ما فيها من عظيم النفع في الدنيا والآخرة، فجاء هذا القول الكريم مشيراً إليها ليتم الأمر بتذكرها وتدبر معانيها فقال : ﴿ لعلکم تذكرون ﴾ أي لتذكرون ما فيها من الأوامر فتبادروا إلى عملها، وتعلموا ما فيها من النواهي فتسارعوا إلى تركها واجتنابها، وبذلك تشاع الفضيلة في المجتمع المسلم ويبادر الناس زرافات ووحداً إلى التواصي بالحق والتواصي بالصبر وإذا حصل التذكر بالقلب، حصل التذكير باللسان والتواصي بالخير، ويحصل بذلك الاتعاظ لمن أدركته الغفلة، أو أهتته شواغل الحياة.

وتجدر الإشارة إلى أن الرازي رحمه الله سجل جواب سؤال محتمل الورود فقال : فإن قيل : فما السبب في جعل خاتمة الآية الأولى بقوله تعالى : ﴿ لعلکم تعقلون ﴾ وخاتمة هذه الآية بقوله : ﴿ لعلکم تذكرون ﴾ ؟ قلنا : لأن التكاليف الخمسة في الآية الأولى أمور ظاهرة جليلة، فوجب تعقلها وتفهمها، وأما التكاليف الأربعة المذكورة في هذه الآية فأمور خفية غامضة، لا بد من الاجتهاد والفكر، حتى يقف على موضع الاعتدال، فلهذا السبب قال : ﴿ لعلکم تذكرون ﴾<sup>(٢)</sup>. وللأوسي رحمه الله رأي قال فيه : ويمكن أن يقال : إن أكثر التكاليف الأول أدبي بصيغة النهي، وهو في معنى المنع، والمرء حريص على ما منع، فناسب أن يعلل الإيصاء بذلك؛ بما فيه إيحاء إلى معنى المنع والحبس، وهذا بخلاف التكاليف الأخر، فإن أكثرها قد أدبي بصيغة الأمر، وليس المنع فيه ظاهراً، كما في النهي، فيكون تأكيداً، والمبالغة فيه ليستمر عليه، ويتذكر إذا نسي<sup>(٣)</sup>.

## الأحكام

١ - وجوب الوفاء بجميع العهود والمواثيق الشرعية وما يوافقها.

(١) الصحيح مع الفتح ٨٩/١.

(٢) الرازي ٢٣٥/١٣.

(٣) الألويسي ٤٩/٨.

٢ - ان وجوب الوفاء ينحصر فيما يتفق مع الشرع ويحرم الوفاء بما فيه معصية ومخالفة للشرع .

٣ - يفهم من الأمر بالوفاء تحريم نقيضه وأنه ليس من صفات المؤمنين . والله أعلم .

## الوصية العاشرة

قوله تعالى : ﴿وَأَن هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُم عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَمِ وصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

المناسبة :

بعد سياق ما تقدم وتوجيه المسلم إلى العمل بما جاء من الأوامر، وترك ما نهى الله عز وجل عنه، وحصل بذلك البيان الشافي، والإرشاد الكافي، من خلال تلك الوصايا، واتضح طريق الحق، ناسب ختم ذلك بالإشارة إلى أن تلك المجموعة من الأوامر، والنواهي، تلك الوصايا العظيمة تمثل صراط الله المستقيم، الذي يوصل سالكه إلى جنة الله ورضوانه، وأن من فرط في شيء منها فعلاً أو تركاً، فقد تنكب صراط الله، وابتعد عنه، واتجه نحو هوة سحيقة تهوي به في نار جهنم، فليتق الله كل مسلم، ولينظر في الأمر، فما بعد الحق إلا الضلال .

البحث اللغوي :

أ - في النحو : ( مستقيماً ) نصب على الحال<sup>(١)</sup> .

( فتفرق بكم ) نصب بإضمار ( إن ) بعد الفاء في جواب النهي<sup>(٢)</sup> . - والأصل ( فتتفرق ) فحذفت إحدى التاءين، والباء للتعدية، أي فتفرقكم حسب تفرقها - وهذا - أبلغ من تفرقكم، كما قيل : من أن ذهب به لما فيه من الدلالة على الاستصحاب أبلغ من أذهبه<sup>(٣)</sup> .

(١) الفتح ١١٠/٢ .

(٢) الإرشاد ٢٠٠/٣ .



## ب - المفردات :

مستقيماً : أي مستوياً قوياً لا عوج فيه .

الصراط : الطريق المستقيم .

ومنه قول الشاعر :

أكر على الحرورين مهري وأحملهم على وضح الطريق<sup>(١)</sup>

ويقال : سراط : الطريق المستسهل ، وأصله من سرطت الطعام ، وزردته ، ابتلعتة

ف قيل : سراط تصوراً أنه يتلغ سالكه ، وقد قيل : قتل أرضاً عالمها ، وقتلت أرض جاهلها .  
وعلى النظرين قال أبو تمام :

دعته الفيافي بعد ما كان حقبة دعاها إذا ما لمز نهل ساكبه<sup>(٢)</sup>

السبل : مفردا سبيل ، وهي الطريق وما وضح منه<sup>(٣)</sup> ، ويستعمل ( السبيل )

لكل ما يتوصل به إلى شيء خيراً كان أو شراً<sup>(٤)</sup> . قال تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك ﴾<sup>(٥)</sup>  
وقال عز وجل : ﴿ ولتستبين سبيل المجرمين ﴾<sup>(٦)</sup> . وله معان أخر<sup>(٧)</sup> .

التقوى : عرفها بعض العلماء ، بأنها جعل النفس في وقاية مما يخاف . . . وأنها في

تعارف الشرع : حفظ النفس مما يؤثم ، وذلك بترك المحظور ، ويتم ذلك بترك المباحات - لما  
ورد - الحلال بين ، والحرام بين<sup>(٨)</sup> . . .

## القراءات :

قال الرازي : قرأ ابن عامر ﴿ وأن هذا ﴾ بفتح الألف وسكون النون . وقرأ حمزة

والكسائي ( وإن ) بكسر الألف وتشديد النون .

---

(١) اللسان ٣٤٠/٧ .

(٢) المفردات ١٨٠ ، ٢٣٠ .

(٣) اللسان ٣١٩/١١ .

(٤) المفردات ص ٥٣٠ - ٥٣١ .

(٥) الآية ١٢٥ النحل .

(٦) الآية ٥٥ الأنعام .

(٧) اللسان ٣١٩/١١ .

(٨) الحديث في البخاري ومسلم ، وانظر لفظ البخاري ( الصحيح مع الفتح ١٢٦/١ ) .

أما قراءة ابن عامر : فأصلها ﴿ وأنه هذا صراطي ﴾ والهاء ضمير الشأن والحديث ، وعلى هذا الشرط تخفف .

قال الأعشى :

في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحفى وينتعل  
أي : قد علموا أنه .

وأما كسر ( إن ) وتشديد النون . فالتقدير : أتل ما حرم . وأتل ﴿ إن هذا صراطي مستقيماً ﴾ بمعنى أقول . - وقال الفراء : تكسر ( إن ) إذا نويت الاستئناف . -

وأما فتح ( أن ) فقال الفراء : . . . وفتحتها من وقوع ( أتل ) عليها - يعني وأتل عليكم ﴿ أن هذا صراطي مستقيماً ﴾ - وإن شئت جعلتها خفصاً تريد ( ذلكم وصاكم به ) وبـ ﴿ أن هذا صراطي مستقيماً ﴾ .

قال أبو علي : من فتح ( أن ) فقياس قول سيبويه ، أنه حملها على ( فاتبعوه ) والتقدير : لأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، كقوله : ﴿ وأن هذه أمتكم أمة واحدة ﴾ (١) قال سيبويه : لأن هذه أمتكم . وقال في قوله تعالى : ﴿ وأن المساجد لله ﴾ (٢) ولأن المساجد لله .

وأعلم أن القراء أجمعوا على سكون ( الياء ) من ﴿ صراطي ﴾ غير ابن عامر فإنه فتحها .

وقرأ ابن كثير ، وابن عامر ﴿ صراطي ﴾ بالسين ، وحمزة - قرأ - بين الصاد والزاي ، - وقرأ - الباقون بالصاد صافية ، وكلها لغات (٣) .

قال الزخشي : قرأ الأعمش ﴿ وهذا صراطي ﴾ وفي مصحف عبد الله ﴿ وهذا صراط ربكم ﴾ وفي مصحف أبي ﴿ وهذا صراط ربك ﴾ (٤) .

(١) الآية ٥٢ المؤمنون .

(٢) الآية ١٨ الجن .

(٣) الرازي ٢/١٤ . وانظر أقوال الفراء ( معاني القرآن ١/٣٦٤ ) .

(٤) الزخشي ٨٠/٢ .

## الإيضاح

لما أوضح تبارك وتعالى فيما مضى من الآيات ما وصى به عباده ذكر سبحانه وتعالى في نهاية هذه الوصايا قولاً أجمل فيه ما تقدم تفصيله، فقله جل ذكره : ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ يدخل فيه كل ما أمر الله به ونهى عنه، فالشريعة جملة وتفصيلاً هي صراط الله المستقيم، ومن المعلوم أن ما تقدم من الوصايا جملة من الأوامر والنواهي تدخل تحت هذا العموم؛ الذي يتناول كل ما بينه رسول الله ﷺ، من الدعوة إلى الحق، وبيان دين الإسلام، فهو بدون شك المنهج القويم، وصراط الله المستقيم، الذي كلف رسول الله ﷺ بدعوة الإنس والجن إلى اتباعه، والعمل به جملة وتفصيلاً، ونهاهم عن العدول عنه، فمن عدل عنه وقع في الضلالات، وأحاطت به المهلكات، وما تجدر الإشارة إليه هنا التنبيه على الإضافة في قوله ﴿ صِرَاطِي ﴾ هل الصراط مضافاً إلى الله عز وجل، أو إلى رسول الله ﷺ ؟ . نقول جواباً عن هذا التساؤل :

يجوز الأمران فإن كانت الإضافة إلى الرب عز وجل فباعتباره الشارع سبحانه وتعالى فهو الأمر الكريم، والناهي الحكيم .

وإن كانت الإضافة إلى النبي ﷺ فباعتباره سالك المنهج القويم، الداعي إلى النعيم المقيم وهذا ما قرره العلماء وقالوا : قد يضاف إلى الدعاة إليه والسالكين له من النبيين<sup>(١)</sup> وغيرهم كما في قوله تعالى : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾<sup>(٢)</sup> . وعلى هذا فيكون المعنى وما أتلو عليكم من وصايا رب العزة والجلال أن تعلموا أن القرآن الذي أدعوكم إلى العمل به والدعوة إليه وأن ما تضمن من أوامر ونواهي هو الطريق القويم الذي يصل سالكه إلى مرضاة الله وأن ذلك منهجي الذي أسير عليه، فهو الشرع النقي، والمورد العذب، والمشرب السائغ، وما أتلو عليكم أن تعلموا أن ما أوصاكم الله به في هذه السورة العظيمة ما هو إلا جملة من الأوامر والنواهي التي ضمها كتاب الله العظيم الواجب عليكم العمل بها فيه جملة وتفصيلاً، إن هذا القرآن الذي آمركم به وادعوكم إليه فيه حياتكم، وبه رقيكم، وهو سفينة نجاتكم، فمن أحل حلاله، وحرم حرامه، وعمل بمحكمه، وآمن بمتشابهه فقد سلك صراط الله المستقيم المنتهي بسالكه إلى مرضاة الله عز وجل، إنه سبيل ظاهر الاستقامة، لا

(١) الألوسي ٥٠/٥ .

(٢) الآية ٧ من الفاتحة .

يضل سالكه، ولا يهتدي تاركه، فاتبعوه وحده، ولا تتبعوا الطرق التي تخالفه، فتذهب بكم فتصبحوا فرقاً ضالة تنتهي إلى الهلكة والضيايع، فما بعد الحق إلا الضلال، ومن ترك النور عاش في الظلمات، لأن ما بعث الله به رسله من نوح أول الرسل إلى خاتمهم محمد ﷺ هو الحق، وهو لا يتعدد، فالطريق الموصل إلى الله عز وجل واحد ما بعث به رسله وأنزل به كتبه، لا يصل - إلى الله - أحد إلا من هذه الطريق، ولو أتى الناس من كل طريق واستفتحوا من كل باب، فالطريق عليهم مسدودة، والأبواب عليهم مغلقة إلا من هذا الطريق الواحد، فإنه متصل بالله، موصل إلى الله<sup>(١)</sup>. وتأكيذاً لما سبق بيانه جاءت السنة النبوية تزيد الأمر شرحاً وتجليه بالرسم البياني بعد بيان القول يقول ابن ماجه رحمه الله :

حدثنا أبو سعيد؛ عبد الله بن سعيد<sup>(٢)</sup>، ثنا أبو خالد الأحمر<sup>(٣)</sup> قال : سمعت مجالد<sup>(٤)</sup> يذكر عن الشعبي<sup>(٥)</sup>، عن جابر بن عبد الله قال :

« كنا عند النبي ﷺ فخط خطأ، وخط خطين عن يمينه، وخطين عن يساره<sup>(٦)</sup>، ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال : هذا سبيل الله<sup>(٧)</sup>، ثم تلا هذه الآية ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾<sup>(٨)</sup>. فالسبل التي حذر الله عز وجل منها ونبه إليها رسول الله ﷺ بهذه الوسيلة الإيضاحية زيادة في تحذير الأمة من الزيغ واتباع الهوى، وتلك السبل تعم اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، وسائر أهل الملل، - وجميع أصحاب البدع والضلالات، من أهل الأهواء، والشذوذ في الفروع، وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل، والخوض في الكلام<sup>(٩)</sup>. هذه كلها عرضة للزلل، ومضنة لسوء

(١) التفسير القيم ص ١٤، ١٥.

(٢) الأشج، ثقة، مات سنة سبع وخمسين ومائتين.

(٣) سليمان بن حبان، الأزدي، صدوق يخطيء، مات سنة تسعين ومائة.

(٤) ابن سعيد بن عمر، ليس بالقوى، مات سنة أربع وأربعين ومائة. وقد وقع خطأ في السند في تفسير ابن كثير ١٩٠/٢

فذكر بدله (مجاهد) والصواب (مجالد).

(٥) عامر بن شراحيل.

(٦) لعل، صورته هكذا.

(٧) أخرجه ابن ماجه ٦/١ وبسنده أخرجه الإمام أحمد، وكذلك من طريق أخرى عن ابن مسعود (المسند ٣/٣٩٧،

٤٦٥/١) وبه أخرجه الحاكم (المستدرک ٢/٣١٨) وابن حبان (١/١٦٧).

(٨) الآية ١٥٣ من الأنعام.

(٩) انظر (القرطبي ٧/٢٣٨).

المعتقد<sup>(١)</sup>. وهذا ما فهمه أصحاب رسول الله ﷺ، ورضي الله عنهم أجمعين قال الطبري رحمه الله :

حدثني محمد بن عبد الأعلى<sup>(٢)</sup> قال : حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أبان<sup>(٣)</sup>، أن رجلاً قال لابن مسعود : ( ما الصراط المستقيم؟ قال : تركنا محمد ﷺ في أدناه، وطرفه في الجنة، وعن يمينه جواد، وعن يساره جواد، وثم رجال يدعون من مر بهم، فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة )<sup>(٤)</sup> ثم قرأ ابن مسعود ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً ﴾ الآية. ويزيد حرص ابن مسعود رضي الله عنه على دعوة الأمة المحمدية إلى الخير وتحذيرها من الشر، ويوضح رضي الله عنه أنه لا تتم السلامة لأحد إلا بنور العلم وضياء الكتاب والسنة وهو الإسلام الذي فسر به الصراط المستقيم في حديث النواس بن سمعان الآتي :

قال الدارمي رحمه الله : أخبرنا أبو المغيرة<sup>(٥)</sup>، حدثنا الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير<sup>(٦)</sup>، عن أبي قلابة<sup>(٧)</sup> قال : قال عبد الله بن مسعود :

( تعلموا العلم قبل أن يقبض، وقبضه أن يذهب أهله، ألا وإياكم والتنطع<sup>(٨)</sup>، والتعمق<sup>(٩)</sup>، والبدع<sup>(١٠)</sup>، وعليكم بالعتيق<sup>(١١)</sup> )<sup>(١٢)</sup> والرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين كثيرة في هذا الباب وإنما أردنا الدلالة عليها بما ذكرنا. وتبعهم من بعدهم من حملة الخير والهدى التابعون فهذا الدارمي رحمه الله يقول :

---

(١) انظر (ابن عطية ٦/ ١٨٥).

(٢) الصنعاني، ثقة، مات سنة خمس وأربعين ومائتين.

(٣) ابن عثمان بن عفان، ثقة، مات سنة خمس ومائة.

(٤) الطبري ٦٥/ ٨.

(٥) عبد القدوس بن الحجاج الخولاني، ثقة، مات سنة ثنتي عشرة ومائتين.

(٦) ثقة، ثبت، مدلس، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

(٧) عبد الله بن زيد الجرمي، ثقة، كثير الإرسال.

(٨، ٩) هما كلمتان مترادفتان ومعناها هنا. التشدد والغلو في الكلام ولزيد الفائدة انظر (اللسان ٨/ ٣٥٧، ١٠/ ٢٧١).

(١٠) جمع بدعة وهي كل ما خالف أصول الشريعة من الأقوال والأعمال. وانظر (اللسان ٨/ ٦).

(١١) القديم، أي الأمر الأول (النباية ٣/ ١٧٩).

(١٢) أخرجه الدارمي (السنن ١/ ٥٠).

أخبرنا محمد بن خالد بن مالك<sup>(١)</sup>، أخبرنا النضر بن شميل<sup>(٢)</sup>، عن ابن عون<sup>(٣)</sup>،  
عن ابن سيرين<sup>(٤)</sup> قال :

( كانوا<sup>(٥)</sup> يرون أنه على الطريق ما كان على الأثر )<sup>(٦)</sup> . ولأريب أن الأثر المذكور هو  
شرع الله عز وجل الذي جاء به نبي الهدى والرحمة وهو صراط الله المستقيم الذي سار عليه  
معلمو الإنسانية بعد رسول الله ﷺ . وتجدر بنا الإشارة - ونحن نختم هذه الجولة من معايشة  
آيات من كتاب الله - أن نذكر القارئ الكريم بأن الآية فيها من الأمور التي تظهر للمتأمل  
ما يلي :

١ - إن الله عز وجل قد جمع في هذه الوصية بين الأمر باتباع سبيل الحق، والنهي عن  
سبل الضلال المقابلة له .

٢ - أنه عز وجل كرر لفظ الوصية في هذه الآية فقال : ﴿ ذلكم وصاكم به ﴾ لمزيد  
التوكيد والاهتمام بها، فيألفها من وصية عظم الله شأنها، وقوى برهانها، وجعلها نورا لمن عمل  
بها، وحجة على من لم يستظل بظلها .

٣ - في الآية الكريمة التنبيه على أن كل ما كان حقاً فهو واحد، ولا يلزم منه أن  
يقال : إن كل ما كان واحداً فهو حق، فإذا كان الحق واحداً، كان كل ما سواه باطلاً، وما  
سوى الحق أشياء كثيرة، فيجب الحكم بأن كل كثير باطل، ولكن لا يلزم أن يكون كل باطل  
كثير<sup>(٧)</sup> .

٤ - الأمر بلزوم جماعة المسلمين لأن اتباع صراط الله المستقيم يستلزم ذلك .

٥ - النهي عن الفرقة والاختلاف فقوله ﴿ ولا تتبعوا السبل ﴾ دال على ذلك ويؤيده  
قوله تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به

---

(١) هكذا في النسختين ولم أقف عليه ولعل الصواب محمد بن مالك الجمال، فهو شيخ الدارمي، وتلميذ النضر، ثقة مات سنة  
إحدى وأربعين ومائتين .

(٢) ثقة، ثبت، مات سنة أربع ومائتين .

(٣) عبد الله بن عون بن أرطبان، ثقة، ثبت، مات سنة خمسين ومائة .

(٤) محمد بن سيرين، ثقة، ثبت، عابد، مات سنة عشر ومائة .

(٥) أي أصحاب رسول الله ﷺ . (يرون أنه) يعني المسلم يكون على طريق الحق مادام يلتزم بالأثر .

(٦) أخرجه الدارمي (السنن ١/٥٠) .

(٧) الرازي ٣/١٤ . وانظر تعليق أحمد شاكر رحمه الله (عمدة التفسير ٢٢/٥) .

إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴿١﴾. وهذا نهي عن التفرق فإنها هلك من هلك بسبب الفرقة وكثرة الجدل، والخصومات في دين الله عز وجل ﴿٢﴾.

ولاريب أن من يتابع أحوال المسلمين اليوم وما هم فيه من الفرقة والخلاف يعتريه قلق شديد على مصير مئات الملايين من أبناء الأمة الإسلامية إذا لم يعتصموا بحبل الله المتين الكتاب والسنة. والأخطار محدقة بهم، ودعاة الهدم والضلال يزدادون يوماً بعد يوم. وصدق رسول الله ﷺ إذ يصور الأمور لأمته أبدع تصوير ويجليها بضرب الأمثال، ويدلل عليها بإقامة المثل قال : عبد الله بن الإمام أحمد : حدثني أبي، ثنا الحسن بن سوار أبو العلاء (٣)، ثنا ليث يعني ابن سعد (٤)، عن معاوية بن صالح (٥)، أن عبد الرحمن بن جبير (٦) حدثه، عن أبيه (٧)، عن النواس بن سمعان (٨) الأنصاري، عن رسول الله ﷺ قال :

« ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول : يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا (تتفرقوا) (٩) وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله عز وجل، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم » (١٠). فلو تأمل المسلمون كتاب ربهم ودرسوا سنة نبيهم ﷺ لما كثر دعاة الضلال، ولما قويت دعوات الطوائف أعداء الأمة المحمدية الذين لا يفتشون يفتون في عضد الوحدة الإسلامية، ولما تفتحت أبواب البدع، والخرافات، وتنوعت أشكال الشعارات المزيفة، التي أصبح لها الأثر البالغ في غواية الشباب، وشحن الأفكار باتباع الأهواء، والانزلاق في الشهوات بجميع أصنافها دون أدنى

(١) الآية ١٣ من الشورى.

(٢) انظر كلام ابن كثير ٢/ ١٩٠.

(٣) صدوق، مات سنة ست عشرة ومائتين.

(٤) المصري، أبو الحارث، ثقة، ثبت، فقيه، مات سنة خمس وسبعين ومائة.

(٥) قاضي الأندلس، صدوق له أوهام روى له مسلم، مات سنة ثمان وخمسين ومائة.

(٦) ابن نفير، ثقة، مات سنة ثمان عشرة ومائة.

(٧) جبير بن نفير، ثقة، جليل، ولأبيه صحبة مات سنة ثمانين.

(٨) صحابي قيل وفد والده على النبي ﷺ. انظر (أسد الغابة ٤٥/٥).

(٩) في المسند (تفرج) وصوابه ما أثبتناه.

(١٠) المسند ٤/ ١٨٢.

نظرة لما يحل وما يحرم، فلسان حال الكثيرين اليوم يقول : إن الغاية تبرر الوسيلة، وإذا كنا نتحدث عما حل بالمسلمين اليوم وقلوبنا تنزف أسى وحسرة، لا نملك إلا أن نصرخ بالصوت العالي الجهور، ونقول : أيها المسلمون عودوا إلى كتاب ربكم لتعود عزتكم فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين<sup>(١)</sup>، عودوا إلى سنة نبيكم تعود لكم استقامتكم وتحقق سلامتكم قال أبو داود رحمه الله : حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا الوليد بن مسلم<sup>(٢)</sup>، حدثنا ثور بن يزيد قال : حدثني خالد بن معدان قال : حدثني عبد الرحمن بن عمرو السلمي<sup>(٣)</sup>، وحجر بن حجر<sup>(٤)</sup> قالوا : أتينا العرياض بن سارية وهو ممن نزل فيه ﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه ﴾<sup>(٥)</sup> فسلمنا وقلنا : أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين، فقال العرياض : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل : يا رسول الله ؛ كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال :

« أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبداً حبيشاً<sup>(٦)</sup>، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء<sup>(٧)</sup> المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ<sup>(٨)</sup>، وإياكم ومحدثات<sup>(٩)</sup> الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة<sup>(١٠)</sup> ». فكما أرشدنا المصطفى ﷺ إلى التمسك بسنته أمرنا الله عز وجل بأخذ كل ما أمر به ﷺ، وترك كل ما نهى عنه قال تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾<sup>(١١)</sup> وحذر جل شأنه من مخالفة نبيه ﷺ فقال : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره

(١) اقرأ الآية ٨ من (سورة المنافقون).

(٢) ثقة، كثير التدليس، ولا يضر هنا لأنه صرح بالتحديث.

(٣) مقبول مات سنة عشر ومائة.

(٤) مقبول أيضاً.

(٥) الآية ٩٢ التوبة.

(٦) أي وإن ولي عليكم عبد حبشي. ففيه الأمر بطاعة ولي الأمر ما أقام الدين وحكم بالشرعية.

(٧) هم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم أجمعين وعن كافة أصحاب رسوله الكريم.

(٨) النواجذ أقصى الأضراس، أو هي الأنياب، أو التي تلي الأنياب، أو هي الأضراس كلها. (ترتيب القاموس ٤/ ٣٢٧).

(٩) جمع محدثة - بالفتح - وهي ما لم يكن معروفاً في كتاب ولا سنة ولا إجماع. (النهاية ١/ ٣٥١).

(١٠) سنن أبي داود ١٣/ ٥ وأخرجه الترمذي من طريق أخرى عن خالد وقال : هذا حديث حسن صحيح (الجامع ٤٤/ ٥).

(١١) الآية ٧ الحشر.



أن تصيهم فتنة أو يصيهم عذاب أليم ﴿١﴾ فالهرب الهرب من مخالفة رسول الله ﷺ،  
والنجاة النجاة، بالتمسك بهديه والسير على طريقه وصحابته ففي ذلك التجارة الرباحة،  
ويلحظ النابه أن محور دعوته ﷺ بعد توحيد الله تحذير الأمة من الأهواء والبدع وإرشادهم  
إلى الأخذ بالأمر المستقيم فكان يوصي بلزوم السنة إلى أن فارق الدنيا ففي رواية ابن ماجه  
لحديث العرباض أنه ﷺ قال : « تركتكم على البيضاء <sup>(٢)</sup>، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها  
بعدي إلا هالك، من يعيش منكم فسيروا اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة  
الخلفاء الراشدين . . . » - وقال في آخره - : « فإنما المؤمن كالجمل الأنف <sup>(٣)</sup>، حيثما قيد  
انقاد <sup>(٤)</sup> »، هذا ما أوصى به نبي الهدى أمته وتواصى بالتمسك به أصحابه من بعده، قال  
الدارمي رحمه الله : أخبرنا الحكم بن المبارك <sup>(٥)</sup>؛ أنا عمر بن يحيى <sup>(٦)</sup> قال سمعت أبي <sup>(٧)</sup>،  
يحدث عن أبيه <sup>(٨)</sup> قال : كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا  
خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال : أخرج إليكم أبو عبد  
الرحمن؟ قلنا : لا . فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه <sup>(٩)</sup> جميعاً، فقال له أبو  
موسى : يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته <sup>(١٠)</sup>، ولم أر والحمد لله إلا

(١) الآية ٦٣ النور.

(٢) شبه منهجه ﷺ بالجادة الواضحة؛ الطريق الأبلج الذي لا يضل سالكه.

(٣) شبه انقياد المؤمن للحق عند سماعه بالجمل الذي يخزم أنفه فينقاد لصاحبه، فالجمل الأنف هو الذي يشتكى أنفه من  
الوجع (الصحيح ٥٤/١).

(٤) ابن ماجه ١٦/١ وتقدم أنه عند أبي داود والترمذي .

(٥) الخاشعي، صدوق ربا وهم مات سنة عشر ومائتين.

(٦) هكذا عند الدارمي . والصواب عمرو بن يحيى بن عمرو بن سلمة بن الحارث، الكوفي - ذكره الحافظ في (اللسان  
٣٧٨/٤) وقال : قال ابن معين : حديثه ليس بشيء، قد رأيت . ولم أقف عليه في تاريخ ابن معين، وسبق الحافظ إلى نقل هذه العبارة  
الحافظ الذهبي (الميزان ٢٩٣/٣).

(٧) يحيى بن عمرو بن سلمة، لم يذكره أبو حاتم بجرح ولا تعديل (الجرح والتعديل ١٧٦/٩).

(٨) عمرو بن سلمة بن الحارث، الحمداني، لم يذكره البخاري بجرح ولا تعديل (التاريخ ٣٣٧/٦) ومثله ابن أبي حاتم  
(الجرح والتعديل ٢٣٥/٦). وذكره ابن حبان في (الثقات ١٧٢/٥) وذكره الحافظ وقال : قال ابن أبي حاتم عن أبيه : أخطأ في عمرو  
ابن سلمة حيث جمع بينهما، ذاك جرمي، وهذا حمداني. ثم قال : وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من أهل الكوفة . . . الخ (التهذيب  
٤٢/٨) ولي على هذا ملاحظتان : الأولى : ما خطيء فيه البخاري ليس وارداً فقد أفرد كل منهما بترجمة (التاريخ ٣١٣/٦، ٣٣٧)  
والثانية : ان المذكور في طبقات ابن سعد غير هذا (الطبقات ١٧١/٦) ومن هنا والله أعلم وقع الخطأ في التقريب حيث قال : ثقة  
(التقريب ٢٦٠).

(٩) إن صحت هذه الرواية فالقيام هنا ليس من باب التعظيم الذي ثبت النبي عنه . إنها هو من باب الاستعداد للمشي إلى

الصلاة.

(١٠) هذه المقولة تدل على عدم ثبوت الرواية والله أعلم، لأنه ليس من المعقول أن يذهب أبو موسى إلى المسجد للصلاة =

خيراً، قال : فما هو؟ قال : إن عشت فستراه، قال : رأيت في المسجد قوماً حلقاً<sup>(١)</sup> جلوساً ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول : كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول : هللو مائة، فيهللون مائة، ويقول : سبحوا مائة، فيسبحون مائة. قال : فماذا قلت لهم؟ قال : ما قلت لهم شيئاً انتظر رأيك وانتظار أمرك<sup>(٢)</sup>، قال : أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلقة، فوقف عليهم فقال : ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا : يا أبا عبد الرحمن، حصى<sup>(٣)</sup> نعد به التكبير والتهليل والتسبيح. قال : فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يأمة محمد، ما أسرع هلكتكم<sup>(٤)</sup>؛ هؤلاء صحابة نبيكم متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل<sup>(٥)</sup>، وأواني لم تكسر<sup>(٦)</sup>، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة<sup>(٧)</sup> محمد؟! أو مفتتحوا باب ضلالة؟. قالوا : والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير. قال : وكم من مريد للخير لن يصيبه<sup>(٨)</sup>، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوماً يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم<sup>(٩)</sup>، وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم. فقال عمرو بن سلمة : رأينا عامة أولئك الحلقة يطاعنوننا يوم النهر وان مع الخوارج<sup>(١٠)</sup>. فهذه المقولة عن ابن مسعود إن لم يصح سندها فمعناها صحيح ولها من سنة رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة، وكلام التابعين الشواهد التي لا تحصر، وما رفعه ابن مسعود رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ أمر ثابت في الصحيحين من حديث أبي سعيد وغيره انظر (الصحيح مع الفتح ٤١٥/١٣) وكذلك (صحيح مسلم ٧٤٠/٢ . . .) وإننا المقدمة هي التي في النفس

= ثم يخرج منه وهو يعرف فضل المبادرة إلى المسجد والسبى إلى الصلاة. ثم ليس من المعقول أن يرى منكراً ثم يقول ما رأيت إلا خيراً، ثم لا ينكر ذلك ويذهب ليأخذ رأى ابن مسعود أينكر أم لا؟. وقد كان أصحاب رسول الله أكثر الناس التزاماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. هذا رأي عن لي في المسألة. وانظر ما في تعليق (٦، ٥) وتعليق (٢) الآتى.

(١) بكسر الحاء، وفتح اللام، جمع الحلقة، مثل قصعة، وقصع، وهي الجماعة من الناس مستديرون كحلقة الباب (النهاية ٤٢٦/١).

(٢) على فرض صحة هذه الرواية فتوقف أبى موسى عن المبادرة في الإنكار إنها كان تعقلاً لاسيما وأن العمل مشروع لكن بغير هذه الصورة.

(٣) جمع حصاة، وهي الأحجار الصغيرة. انظر (النهاية ٣٩٨/١).

(٤) باقتراف البدع، واتباع الأهواء، يؤيد هذا حديث «تركتم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك».

(٥) كناية عن قرب موته ﷺ، وأنه لم يطل عليهم العهد، بل هم حديثوا عهد بهدى.

(٦) هذه جملة توبيخ وإنكار، لأن من يزعم أنه جاء بأهدى من ذلك فهو كافر، فأراد ابن مسعود رضي الله عنه أن يوبخهم على ذلك ويحقر ما فعلوا.

(٨) إذا كان داعية هواه أو اجتهد المحظ، لكن من أراد الخير مستنبطاً بالكتاب والسنة فإنه لا يعدم ذلك.

(٩) يريد به حديث : «يخرج ناس من قبل المشرق وقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم . . .».

(١٠) الدارمي ٦١/١.

منها شيء، من حيث النسبة لأمر في السند والمتن. وقد نقل القرطبي رحمه الله كلام ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ( النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة، وينهى عن البدعة عبادة )<sup>(١)</sup>. وهذه أقوال<sup>(٢)</sup> جماعة ممن تلا أصحاب رسول الله .

قال مجاهد رحمه الله : لا أدري أي النعمتين علي أن هداني للإسلام، أو عافاني من هذه الأهواء .

وقال الشعبي رحمه الله : إنما سموا أصحاب الأهواء لأنهم يهونون في النار<sup>(٣)</sup>.

وقال الفضيل بن عياض : من أحب صاحب بدعة أحب الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه .

وقال سفيان الثوري رحمه الله : البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها<sup>(٤)</sup>.

وقال الأوزاعي رحمه الله : قال إبليس لأوليائه : من أي شيء تأتون بني آدم؟ فقالوا : من كل شيء، قال : فهل تأتونهم من قبل الاستغفار؟ قالوا : هيهات؛ ذلك شيء قرن بالتوحيد، قال : لأبئن فيهم شيئاً لا يستغفرون الله منه . قال : فبئ فيهم الأهواء<sup>(٥)</sup>.

وقال أبو العالية رحمه الله : عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه، قبل أن يفتروا<sup>(٦)</sup>. قال عاصم الأحول : فحدثت به الحسن فقال : قد نصحك والله وصدقك .

سأل رجل عمر بن عبد العزيز رحمه الله عن شيء من أهل الأهواء والبدع فقال :

---

(١) ٢٠١، انظر القرطبي ١٤١/٧.

(٢) لعله أخذ هذا من قوله تعالى : ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقبليه وجعل على بصره

غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾ الآية ٢٣ الجاثية . فإن مقتضى حال من هذه صفاته أن يكون من أهل النار .

(٤) صدق والله فإن المعصية إذا تعمدتها أو وقع فيها عن جهل بامرأها فإن كانت الصفة الأولى ندم وتاب، وإن كانت الثانية واتضح له الحكم فيها تاب بعد علمه بالحكم وصاحبه الندم على ذلك، أما أصحاب البدع فهم يتقربون إلى الله عز وجل بتلك البدع زينها لهم الشيطان واستحسنها أهواؤهم ودفعتهم إليها رغبتهم فهي ظلمات بعضها فوق بعض، وإن قدرت السلامة لأحد منهم بالتوبة فقليل ما هم بل المشاهد من المبتدعين أنهم زادوا فرقة في الفرق التي أخبر بها رسول الله ﷺ، يبغضون أهل السنة، ويذمون الدعاة إلى الهدى، وصنفهم كما ذكر بعض العلماء لم يكن في الأمم السابقة .

(٥) الأهواء المحرمة كثيرة منها ما يتعلق بالأمور الشخصية، ومنها ما يتعلق بالنواحي الاقتصادية، ومنها ما يكون تعلقه بأمور المجتمع، وهذه كلها قد تكون لها دوافع قوية، وشبهات توقع فيها فلا تقع منها التوبة إلا نادراً لكن الأهواء المحرمة والتي نكاد نجزم بعدم التوبة منها ما كان باعته حب التقرب إلى الله عز وجل فهو أمر جد خطير إذا لم يكن له أصل من كتاب ولا سنة، وكم من مريد للخير لا يناله .

(٦) يريد ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وإنما حصلت الفرقة بعدهم .

عليك بدين الأعراب والغلام في الكتاب<sup>(١)</sup>، واله عما سوى ذلك. قال الدارمي رحمه الله :

حدثنا الربيع بن سليمان المؤذن<sup>(٢)</sup> قال : حدثنا أسد بن موسى<sup>(٣)</sup> قال : حدثنا حماد ابن دليل<sup>(٤)</sup> قال : سمعت سفيان الثوري<sup>(٥)</sup> يحدثنا عن النضر. - ورواه أبو داود أيضا بالسند العالى قال : حدثنا محمد بن كثير<sup>(٦)</sup> قال : حدثنا سفيان قال : ( كتب رجل إلى عمر ابن عبد العزيز يسأله عن القَدَر، فكتب<sup>(٧)</sup> : أما بعد؛ أوصيك بتقوى الله والاقتصاد<sup>(٨)</sup> في أمره، واتباع سنة نبيه ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون، بعدما جرت به سنته، وكفوا مثونته، فعليك بلزوم السنة فإنها لك - بإذن الله - عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها<sup>(٩)</sup>، أو عبرة فيها، فإن السنة إنما سنّها من قد علم<sup>(١٠)</sup> ما في خلفها من الخطأ، والزلل والحمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وبصر نافذ كفّوا<sup>(١١)</sup>، وهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه<sup>(١٢)</sup> لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلت : - إنما حدث بعدهم - (ف) ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون، فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم من مقصر<sup>(١٣)</sup>، وما فوقهم من مجسر<sup>(١٤)</sup>، وقد قصر قوم دونهم فجفوا، وطمح<sup>(١٥)</sup> عنهم أقوام فعلوا، وإنهم بين

(١) يريد به من كانوا على الفطرة تقبل قلوبهم الحق وفي ذلك حديث رسول الله ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة ».

(٢) صاحب الشافعي، ثقة، مات سنة سبعين ومائتين.

(٣) صدوق يغب، وفيه نصب، مات سنة اثنتي عشرة ومائتين.

(٤) صدوق، نعموا عليه الرأي.

(٥) الإمام، الحجة.

(٦) العبدى، ثقة، مات سنة ثلاث وعشرين ومائتين.

(٧) عمر بن عبد العزيز رحمه الله وهو الخليفة العادل حتى قيل : إنه خامس الخلفاء الراشدين.

(٨) المراد أن يكون المرء بين ذلك قواما، فلا يقصر في حق الله عز وجل ولا يغفلوا فيكون مجانباً للإفراط والتفريط.

(٩) أي على أنها محدثة وليست من الهدى المحمدي.

(١٠) لم يقل محمد بن كثير في روايته : (من قد علم).

(١١) أي امتنعوا عما يخالف السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

(١٢) من البدع والأهواء.

(١٣) بفتح الميم، وسكون القاف، وكسر الصاد، أي لا يرضى المسلم بأقل مما وصلوا إليه من الفضل تقول : رضي بمقصر

بما كان يحاول؛ دون ما طلب. (انظر اللسان ٩٨/٥). وفي نظري أن الدعاس أخطأ في تعليقه على هذه اللفظة.

(١٤) الذي في السنن «مجر» وفي نظري أنه خطأ صوابه ما أثبت أعلاه، من الجسارة أي لا يتناول عليهم ويطلب المزيد على

ما جاؤا به فإنهم أكرم الناس بعد رسول الله وأكمل الناس بعده ﷺ. (انظر اللسان ١٣٦/٤).

(١٥) أي أبعدوا في طلب المزيد على ما جاء عن الصحابة فوقوا في الغلو (انظر الصحاح ٤٨/٢).

ذلك<sup>(١)</sup> لعل هدى مستقيم . . . الخ<sup>(٢)</sup> . ونقل القرطبي رحمه الله عن سهل بن عبد الله التستري<sup>(٣)</sup> قوله : ( عليكم بالافتداء بالأثر والسنة ، فإني أخاف أنه سيأتي عن قليل زمان إذا ذكر إنسان النبي ﷺ والافتداء به في جميع أحواله ذموم ، ونفروا عنه ، وتبرؤا منه ، وأذلوه ، وأهانوه . . . لا يحدث أحدكم بدعة حتى يحدث له إبليس عبادة ، فيتعبدها ثم يحدث له بدعة ، فإذا نطق بالبدعة ودعا الناس إليها نزع منه تلك الخدمة<sup>(٤)</sup> ) وهذا غيض من فيض ، فنحذر إخواننا المسلمين من خطر الابتداع ومرافقة المبتدعين وإذا ثبت لنا أن رجلاً ما يدعو إلى بدعة أو يحذرها . فعلينا بجانبه ، والتحذير من مجالسته ، فإنه جليس سوء ونافخ كير إما أن يحرق عقيدتك وإما أن تجد منه قولاً باطلاً لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ، إن المروجين للبدع اليوم كثر وهم أئمة في مظاهرهم ، وهيئاتهم ، ولكنهم مضلون<sup>(٥)</sup> في بواطنهم وأفكارهم ، فانصبوا لهم موازين الكتاب والسنة ، وانفوا خبث أقوالهم بصوارم الأدلة ، تكونوا من الفرقة الناجية التي عصت على الكتاب والسنة بالنواجذ ، وإياكم والميل لصاحب بدعة أو مجالسته فإن ذلك يعرضكم للعقوبة فالله عز وجل يقول : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾<sup>(٦)</sup> وقد بينت آية النساء وهي مدنية عقوبة من فعل ذلك وخالف ما أمر الله به قال تعالى : ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً ﴾<sup>(٧)</sup> فالله عز وجل ألحق من جالس هذه الطوائف بهم في الحكم ، والعبرة أيها القارئ الكريم بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وهذا ما فهمه جلة من علماء المسلمين وأئمتهم منهم أحمد بن حنبل والأوزاعي وعبد الله بن المبارك حين حكموا بموجب هذه الآية وما في معناها في مجالسي أهل البدع ، وأدبواهم على المعاشرة والمخالطة ، وقالوا فيمن شأنه مجالسة أهل البدع : ينهى عن مجالستهم فإن انتهى وإلا ألحق بهم ، وقد نفذ هذا عملياً الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رحمه الله وحكم بالحد على

(١) بين المقصر والمجسر (بين الإفراط والتفريط) .

(٢) أخرجه أبو داود ١٨/٥ واستفاده القرطبي ١٣٩/٧ .

(٣) انظر شيئاً من أقواله رحمه الله في الحلية ١٨٩/١٠ .

(٤) ذكره القرطبي ١٨٩/١٠ .

(٥) انظر حديثاً في هذا قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح (الجامع ٥٠٤/٤) .

(٦) الآية ٦٨ الأنعام .

(٧) الآية ١٤٠ النساء .

مجالسي شربة الخمر وتلا ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ قيل له : فإنه ( أي المجالس ) يقول : إني أجالسهم لأبائهم ، وأرد عليهم . قال : ينهى عن مجالستهم فإن لم ينته ألحق بهم<sup>(١)</sup> . ولا ريب أن من طرق هذا الموضوع ورام البيان وقصد الاستيعاب فإنه يجد ما ذكرناه هنا قطرة من بحر وإنما قصدنا لفت النظر وربما كفت الإشارة عن صريح العبارة .

قوله : ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ .

تقدم في الوصية التاسعة هذا القول الكريم ولم يكن تكراره هنا عبثاً فقد جل كلام الله عن العيب والنقص فله الكمال المطلق ، لكنه لمزيد من التوكيد أعاد اللفظ تنويعاً بقدر تلك الوصايا ، وتنبهها على عظيم شأنها عند الله عز وجل ، وحثاً لعباده على تدبرها والتمسك بها ، فيا لها من وصية حوت الخير كله فكانت واضحة الأسلوب ، جليلة المقصد ، أنارت الطريق للسالكين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

هذا ما تيسر بحثه في هذه الآيات ونسأل الله الهدى والتقى ، والنية الخالصة فهو حسبنا ونعم الوكيل .

### خاتمة البحث

أقول : إن الإسلام جاء منقذاً للبشرية ، فأذاب الفوارق ، وركز على الحقوق والواجبات ، وبناء المجتمع النقي المترابط ، وجعل لذلك البناء نظاماً دقيقاً ، ومنهجاً أوضح من الشمس ، وأمدّه بمصدرين الكتاب والسنة ، وجعلهما معينين لا ينضبان على مر الدهر وتعاقب الأزمان ، فلما تلقاهما الدارسون على يدي نبي الهدى والرحمة برغبة صادقة ، وحُب مكين نالوا من فهمهما الحظ الوافر ، وطبقوا ما فهموا في أعمال مخلصه ، كان عصرهم تاريخاً مجيداً للمجتمع الإسلامي الصحيح ، الذي بنيت أسس حضارته الرفيعة على أنبل القيم ، وأثبت المبادئ ، فقام على ذلك نظام الحكم المثالي ، وتجلت الحياة الإنسانية في أبهى صورها ، وقامت الدولة الإسلامية على أمثل الأساليب ، وكان المجتمع الإسلامي يصدر الحضارة الراقية والمثل السامية إلى أمم الجهل والتخلف ، وكان الهدف من ذلك التصدير إسعاد البشرية جماعة وفرداً في الدنيا والآخرة ، وأصبحت الحضارة الإسلامية بشتى مجالاتها تنادي بما فيه فلاح الإنسانية قاطبة في الحال والمآل .

(١) انظر ما نقله القرطبي ١٣٧/٧ - ١٤٢ .

اللهم إنا نسألك حسن العمل ، وحسن الخاتمة والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ،  
ونسألك اللهم لذة النظر إلى وجهك الكريم ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .  
حرر في مدينة رسول الله ﷺ وتم ذلك ليلة الثلاثاء السابع عشر من ربيع الآخر سنة  
ثمان وأربعمائة وألف . ١٧ / ٤ / ١٤٠٨ هـ .





## الفهارس

- ١ - فهرست الموضوعات .
- ٢ - فهرست الآيات .
- ٣ - فهرست الأحاديث .
- ٤ - فهرست الآثار من أقوال الصحابة وأقوال من بعدهم من العلماء .
- ٥ - فهرست الأعلام المترجم لهم .
- ٦ - فهرست الأبيات الشعرية .
- ٧ - فهرست المصادر والمراجع .

## فهرست الموضوعات

الصفحة	العنوان
	المقدمة
٣	منهج البحث
٦	بعض ما جاء في فضل هذه الآيات
٦	سؤال رسول الله ﷺ أصحابه المبايعه عليها
٨	صلة الآيات بالكتب السماوية
٩	الآيات من محكم القرآن
١٠	مناسبة الآيات لما قبلها
١١	سؤال وجوابه
١١	الوصية الأولى
١٣	البحث اللغوي
١٣	الإيضاح
١٤	من أسباب تحريم الشرك ثلاثة أمور
١٤	بعض مظان الشرك
١٧	الشرك في الربوبية
٢٣	الشرك في توحيد الأسماء والصفات
٢٥	الشرك في توحيد الألوهية
٢٦	الأحكام
٢٨	الوصية الثانية
٢٩	المناسبة .
٢٩	البحث اللغوي
٢٩	الإيضاح
٣٠	الأحكام
٣٥	الوصية الثالثة
٣٥	المناسبة
٣٥	البحث اللغوي
٣٦	الإيضاح
٣٦	من أسباب قتل الأولاد عند الجاهليين
٣٦	الأحكام
٣٨	الوصية الرابعة
٣٨	

٣٩	المناسبة
٣٩	البحث اللغوي
٣٩	أقوال العلماء في معنى الفواحش
٤٠	الإيضاح
٤٢	الأحكام
٤٣	الوصية الخامسة
٤٣	المناسبة
٤٣	البحث اللغوي
٤٤	الإيضاح
٤٧	من أسباب جواز قتل النفس
٤٨	أقسام القتل
٤٨	العمد
٤٩	شبه العمد
٤٩	الخطأ
٥٢	الأحكام
٥٣	الوصية السادسة
٥٣	المناسبة
٥٣	البحث اللغوي
٥٤	أقوال العلماء في بلوغ الأشد
٥٥	الإيضاح
٥٨	الأحكام
٥٨	الوصية السابعة
٥٨	المناسبة
٥٩	البحث اللغوي
٦١	الإيضاح
٦٤	الأحكام
٦٤	الوصية الثامنة
٦٤	المناسبة
٦٥	البحث اللغوي
٦٥	الإيضاح
٦٧	الأحكام
٦٧	الوصية التاسعة
٦٧	المناسبة

الصفحة	العنوان
٦٨	البحث اللغوي
٦٩	الإيضاح
٧١	الأحكام
٧٢	الوصية العاشرة
٧٢	المناسبة
٧٢	البحث اللغوي
٧٣، ٦٨	القرارات
٧٥	الإيضاح
٧٨	بعض أمور تظهر للمتأمل
٨٦	خاتمة البحث

## فهرست الآيات

الصفحة	الآية
١٨	اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله . . . الآية
١٦	أجعل الآلهة إلهاً واحداً
٢٤	إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب
٤٤	إن الإنسان خلق هلوعاً
٥٣	إن الذين يأكلون أموال اليتامى
٤٠	إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون
١٤	إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
٦١	إن الله يحب المقسطين
٤٧	إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
١٥	إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
٧٦	وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه
٢٩	أن أشكر لي ولوالديك
٧٠	أوكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم
٤٥	أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً
١٨	إياك نعبد وإياك نستعين
١٨	بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه
١٩	حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله

- ٧١ ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون
- ٨٦ ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون
- ٦٩ سيذكر من يخشى
- ٧٨ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
- ٧٥ صراط الذين أنعمت عليهم
- ١٨ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
- ٦٩ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون
- ١٦ فاعلم أنه لا إله إلا الله
- ٥٦ فإن أنستم منهم رشدا
- ٢٤ فلا أقسم بمواقع النجوم
- ١٨ فلا تدعوا مع الله أحدا
- ٢٦ فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون
- ١٩ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
- ٨٠ فليحذر الذين يخالفون عن أمره
- ٢٥ فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا
- ٦٩ فهل من مدكر
- ١٩ قل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا
- ١٣ قل تعالوا آتِل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا
- ١٧ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى (الآيات)
- ٤٠ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
- ٢٨ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة
- ٢٨ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم
- ٢٣ لا أحب الآفلين
- ٣٢ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله
- ١٧ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر
- ٦٣ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها
- ٣٢ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين
- ٢٨ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة
- ٢٤ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة
- ١٦ لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا
- ٦١ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط
- ٢٦ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
- ٢٠ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة

## الآية

الصفحة

٤٣

٣٠

٢١

٥٣

٥٥

٣٠

٨٥

٣٦

١٦

٢٣

٦٤

٢٦

٦١

٢٦

٦١

٣١

٦٥

٦٩

٧٤

٥٣

٦٢

٢٩

٦٧

٢٣

٢٥

٢٥

٨٥

٣٠

٤٧

٥٧

٣٧

٣٥

٤٣

من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً

هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربي حقاً

هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها

وأتوا اليتامى أموالهم

وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح

وإذا أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله

وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم

وإذا المؤودة سئلت

وإذا قال لقمان لابنه وهو يعظه

وإذا قال إبراهيم لأبيه آزرأأخذ أصناماً

وإذا قلتهم فاعدلوا ولو كان ذا قربى

واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً

وأقيموا الوزن بالقسط

وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد

وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً

وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعها

وأنذر عشيرتك الأقربين

وإنه لذكر لك ولقومك

وأن هذه أمتكم أمة واحدة

وأوفوا الكيل والميزان بالقسط

وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم

وبالوالدين إحساناً

وبعهد الله أوفوا

وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم

وزينا السماء الدنيا بمصابيح

وعلامات وبالنجم هم يهتدون

وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها

وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه

وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس

ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم

ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق

ولا تقتلوا أولادكم من إملاق

ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق

٥٣	ولا تقربوا هذه الشجرة .
٥٥، ٥٣	ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن
٣٨	ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن
١٨	ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام
٨٠، ٥١	ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم
٦٥	والجار ذي القربى
٢٨	والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله
٣٧	والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر
٧٠	والموفون بعهد الله إذا عاهدوا
١٥	ولقد بعثنا في كل أمة رسلاً أن اعبدوا الله
٢٥	ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين
١٥	ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه
٧٠	ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي
٢٦	ولله الأسياء الحسنى فادعوه بها
٤٧	ولكم في القصص حياة
٢٤	والنجم والشجر يسجدان
٨٠، ١٩	وما آتاكم الرسول فخذوه
١٥	وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون
٢٣	وما رب العالمين
٢٧	وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
٤٦	ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً
٤٦	وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ
٤٤	وملائكته وجبريل وميكال
٧٠	ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله
٦٩	وما يذكر إلا من ينب
٤٦	ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم
١٩	وما ينطق عن الهوى إنه هو إلا وحى يوحى
٢٥	هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها
٣٤	ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن
٣١	ووصينا الإنسان بوالديه حسناً
٣٠	ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً
٢٦	ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم
٦٦	يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط

٦٦	يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط
٣٧	يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبایعنك
٥٣	يسألونك عن اليتامى
٢٥	يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران

١٥	أتدري ما حق الله على العباد
٤٢	اتق الله حيثما كنت
٤١	احفظ الله يحفظك
٥١	أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي
٧٠	أربع من كن فيه كان منافقاً
١٦	اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً
٤٩	اقتتل امرأتان من هذيل
٣٠	ألا أخبركم بأكبر الكبائر
١٥	ألا أنبئكم بأكبر الكبائر
٤٨	ألا إن دية الخطأ شبه العمد ما كان بالسوط
١٥	ألا إن في الجسد مضغة
٤٦	ألا من قتل نفساً معاهداً له ذمة الله
٦٠	المكيال مكيال أهل المدينة
٥٩	الوزن وزن أهل مكة
١٦	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله
١٦	إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب
٨٢	إن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم
٣٣	إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه
٨٠	أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة
٣٧	أي الذنب عند الله أكبر؟
٣٣	أي الأعمال أحب إلى الله
٨١	تركتم على البيضاء
٤٢	ثلاث منجيات
٤٥	خمس إذ ابتليتم بهن
٤٠	ذلك الواد الخفي
٣٥	رضى الرب من رضى الوالدين



٧٩	ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً
٤٩	عقل شبه العمدة مغلف
٨١	فإنها المؤمن كالجمال الأنف
٥١	فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء
٢٠	قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له ثلاث مرات
١٨	كانوا يحلون أشياء فيستحلونها
٧٦	كنا عند النبي ﷺ فنخط خطاً
٤١	لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد
٤٧	لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث
٢٠	لعن الله من ذبح لغير الله
٣٣	ألك أبوان؟
٤٢	ما من أحد أغير من الله
٨	من يبايعني على هؤلاء الآيات
٣٤	من أحق بحسن صحابي
٢٠	من حلف بغير الله فقد أشرك
٥١	من قتل دون ماله فهو شهيد
٤٦	من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة
٢٧	من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة
٢٧	من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة
٢٧	من مات وهو يدعو الله نداً دخل النار
٣٤	هل بقي من بر أبوي شيء؟
٢٨	يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني

### فهرست الآثار من أقوال الصحابة وأقوال من بعدهم

٨٢	أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم
٧	ألا أقرأ عليكم صحيفة
٦٠	إن شاء أهلك أن أعدها لهم عدة واحدة
١٠	إن في الأنعام آيات محكمات
٨٣	إنما سموا أصحاب الأهواء لأنهم

٩	إن هذه لأول شيء في التوراة
٨٤	أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره
٧٧	تعلموا العلم قبل أن يقبض
٢٥	خلق الله هذه النجوم لثلاث
٨٤	عليك بدين الأعراب والغلام في الكتاب
٨٣	عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه
٨٥	عليكم بالاعتداء بالأثر والسنة
٢٢	عنى بها ذرية آدم من أشرك منهم
٨٣	قال إبليس لأوليائه
٧	قد جالست أصحاب محمد فحدثنا
٤١	كانوا في الجاهلية لا يرون بالزنا بأساً في السر
٧٨	كانوا يرون أنه على الطريق
٨٣	لا أدري أي النعمتين عليّ
٣٢	لا تفعل يا أمه فإنني لا أدع ديني هذا لشيء
٨٣	البدعة أحب إلى إبليس من المعصية
٧٧	ما الصراط المستقيم ؟
٨٣	من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله
٦	من سره أن ينظر إلى الصحيفة
٢٢	هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصروا
١٠	هؤلاء الآيات التي أوصى بها
٤٥	ولا فشا الزنا في قوم قط
٥٠	والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة

## فهرست الآيات الشعرية

٥٥	أخو خمسين مجتمع أشدي
٧٣	أكر على الحرورين مهري
٦٨	أما ابن طوق فقد أوفى بدمته
٥٥	تطيف به شد النهار ضعينة
٧٣	دعته الفيا في بعدما كان حقبة

## اليست

## الصفحة

٥٥	عهدي به شد النهار كأنها
٧٤	في فتية كسيوف الهند قد علموا
١٥	لسان الفتى نصف ونصف فؤاده

## فهرست الأعلام المترجم لهم

٧٧	أبان بن عثمان
٧	إبراهيم بن يزيد النخعي
٣٣	إبراهيم بن حجاج البصري
٢٣	ابن سبعين
٢٣	ابن عربي
٢٤	ابن الفارض
٢٧	أحمد بن حنبل
١٠	أحمد بن المفضل الحضرمي
٧٩	الحسن بن سوار أبو العلا
٨١	الحكم بن المبارك الخاشعي
١٠	أسباط بن نصر الهمداني
٧	إسحاق بن سليمان الرازي
٨٤	أسد بن موسى
١٠	إسرائيل بن يونس السبيعي
١٠	إسماعيل بن عبد الرحمن السدي
٣٣	أسماء بنت أبي بكر
٢٢	بشر بن معاذ أبو سهل
٥٠	ثور بن يزيد الحمصي
٧٩	جبير بن نفير
٩	جرير بن حازم أبو النضر
٧	جرير بن عبد الحميد
٤١	حبيب بن أبي ثابت
٥١	حجر بن حجر
٢١	الحسن بن أبي الحسن البصري
٨٤	حماد بن دليل
٤٨	حماد بن زيد البصري
٣٥	خالد بن الحارث الهجيمي

٥٠	خالد بن معدان الحمصي
٤٨	خالد بن مهران الخذاء
٤٥	خالد بن يزيد أبو مالك
٦	داود بن يزيد الأودي
١٧	الربيع بن خيثم الثوري
٨٤	الربيع بن سليمان المؤذن
٣٢	زهير بن حرب أبو خيثمة
٢٢	سعيد بن أبي عروبة
٧	سعيد بن سنان الشيباني أبو سفيان
٨	سفيان بن حسين الواسطي
٤١	سفيان الثوري
٧	سفيان بن وكيع
٤٥	سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب
٧	سليمان بن مهران الأعمش
٤٩	سليمان بن موسى الأموي
٢١	سهل بن يوسف الأنطاقي
٣٥	شعبة بن الحجاج
٤٩	شعيب بن محمد
٢٧	شهر بن حوشب
٨	عائذ بن عبد الله أبو إدريس الخولاني
٢٧	عامر الأحول
٦	عامر بن شراحيل الشعبي
٣٣	عامر بن عبد الله بن الزبير
٨	عبادة بن الصامت
٧٩	عبد الرحمن بن جبير بن نفيير
٥٠	عبد الرحمن بن عمرو السلمي
٧٧	عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي
٧٧	عبد القدوس بن الحجاج أبو المغيرة الخولاني
٢٧	عبد الله بن الإمام أحمد
١٠	عبد الله بن خليفة الهمداني
٧٧	عبد الله بن زيد أبو قلابة الجرمي
٤١	عبد الله بن صالح كاتب الليث
٣٥	عبد الله بن عمرو بن العاص

٧٨	عبد الله بن عون أرتبان
٣٣	عبد الله بن الزبير بن العوام
٣٣	عبد الله بن المبارك المروزي
٦	عبد الله بن مسعود
٥١	العرباض بن سارية
٥٩	عبيد الله بن عدي بن الحنبار
٤٥	عطاء بن أبي رباح
٣٥	عطاء العامري
٢٧	عفان بن مسلم الباهلي
٤٨	عقبة بن أوس البصري
٦	علقمة بن قيس النخعي
٤١	علي بن أبي طلحة
٢١	عمر بن إبراهيم البصري
٣٥	عمر بن علي بن مقدم
٨١	عمرو بن سلمة بن الحارث
٤٩	عمرو بن شعيب
١٠	عمرو بن عبد الله أبو إسحاق السبيعي
٢٧	عمرو بن معدي كرب الزبيدي
٧	عمرو بن مرة الجملي
٨١	عمرو بن يحيى الكوفي
٤١	الفضل بن دكين أبو نعيم
٦	الفضل بن الصباح البغدادي
٢٢	قتادة بن دعامة السدوسي
٤٨	القاسم بن ربيعة البصري
٩	كعب الأحبار مالك الحميري
٧٩	ليث بن سعد
١٠	مالك بن إسماعيل النهري
٤١	المثنى بن إبراهيم الأمللي
٩	مرثد بن عبد الله المصري
١٠	محمد بن الحسن الكوفي
٩	محمد بن المثنى الزمن
٩	محمد بن بشار بن دار
٤٩	محمد بن بكار بلال العاملي

٢٢	محمد بن ثور الصنعاني
٤٩	محمد بن راشد المكحولي
٧٨	محمد بن سيرين
٢٢	محمد بن عبد الأعلى الصنعاني
٨	محمد بن عبد الله الصفار أبو عبد الله
٦	محمد بن فضيل بن غزوان
٨٤	محمد بن كثير العبدي
٨	محمد بن مسلم الزهري (ابن شهاب)
٨	محمد بن مسلمة الواسطي
٤٩	محمد بن يحيى بن فارس
٤٥	محمود بن خالد الدمشقي
٧٨	مخلد بن خالد بن مالك
٣٣	مصعب بن ثابت
٧٩	معاوية بن صالح
٤١	معاوية بن الحضرمي قاضي الأندلس
٤٢	معمر بن راشد الصنعاني
٤١	ميمون بن أبي شبيب الربيعي
٧٨	النضر بن شميل
٢٤	النعمان بن سليمان بن علي التلمساني
٧٩	النواس بن سمعان
٢٧	همام بن يحيى العوزي
٨٠	الوليد بن مسلم
٩	وهيب بن جرير بن حازم
٧٧	يحيى بن أبي كثير
٩	يحيى بن أيوب أبو العباس
٨١	يحيى بن عمرو بن سلمة
٩	يزيد بن أبي حبيب المصري
٢٢	يزيد بن زريع البصري
٤٥	يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك
٨	يزيد بن هارون الواسطي
٣٥	يعلى بن عطاء العامري

## المصادر والمراجع

- \* المصحف الشريف.
- \* إتحاف ذوي الرسوخ/ حماد بن محمد الأنصاري/ ط. الأولى ١٤٠٦هـ/ مكتبة المعلا بالكويت.
- \* أحكام القرآن/ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ٥٤٣هـ/ تحقيق البجاوي/ دار المعرفة.
- \* إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم/ أبو السعود محمد بن محمد العمادي ٦٥١هـ/ دار إحياء التراث.
- \* أسد الغابة في معرفة الصحابة/ أبو الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير/ طهران.
- \* أسباب نزول القرآن/ أبو الحسن علي بن الواحدي ٤٨٧هـ/ ط. الثانية ١٤٠٤هـ/ دار القبلة.
- \* الإصابة في تمييز الصحابة/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ/ ط. الأولى ١٣٩٦هـ/ مكتبة الكليات الأزهرية.
- \* البحر المحيط/ محمد بن يوسف أبو حيان ٧٥٤هـ/ ط. الثانية ١٤٠٣هـ/ دار الكتب بيروت.
- \* البداية والنهاية/ إسماعيل بن كثير الدمشقي ٧٧٤هـ/ ط. الثالثة ١٩٧٨م/ مكتبة المعارف بيروت.
- \* تاريخ ابن معين (تحقيق د. أحمد نور سيف)/ يحيى بن معين ٢٣٣هـ/ ط. الأولى ١٣٩٩هـ/ مركز البحث العلمي بمكة.
- \* تاريخ بغداد/ الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ/ دار الكتاب العربي.
- \* تاريخ الدارمي (تحقيق د. أحمد نور سيف)/ سعيد بن عثمان الدارمي ٢٨٠هـ/ ط. ١٤٠٠هـ/ مركز البحث العلمي بمكة.
- \* التاريخ الكبير/ محمد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦هـ/ المكتبة الإسلامية.
- \* التبيين لأسماء المدلسين/ سبط بن العجمي/ ط. الأولى ١٤٠٦هـ/ دار الكتب العلمية.
- \* تحفة الأحوذ/ محمد بن عبد الرحمن الماكفوري/ المكتبة السلفية بالمدينة.
- \* ترتيب القاموس المحيط/ الطاهر أحمد الزاوي/ ط. الثانية ١٣٧٨هـ/ عيسى الحلبي.
- \* تفسير القرآن العظيم/ إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ٧٧٤هـ/ ط. الثالثة ١٣٧٦هـ/ المكتبة التجارية.
- \* تفسير القرآن الحكيم (المنار)/ محمد رشيد رضا/ ط. الثانية/ دار المعرفة.
- \* التفسير الكبير/ فخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر الرازي ٦٠٤هـ/ ط. الثالثة ١٤٠٥هـ/ دار الفكر.
- \* التسهيل لعلوم التنزيل/ محمد بن أحمد بن جزئي الكلبي ٧٤١هـ/ ط. الثانية ١٣٩٣هـ/ دار الكتاب العربي.
- \* تقريب التهذيب/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ/ ط. الأولى ١٣٩٣هـ/ دار الكتب باكستان.
- \* تلخيص الذهبي للمستدرک/ محمد بن أحمد الذهبي ٧٤٨هـ/ مكتب المطبوعات.
- \* تهذيب التهذيب/ أحمد بن علي بن حجر ٨٥٢هـ/ ط. الأولى ١٣٢٥هـ/ دائرة المعارف.

- \* تيسير العزيز الحميد/ سليمان بن عبد الله بن محمد ١٢٣٣هـ/ ط. الثانية ١٣٩٠هـ/ المكتب الإسلامي.
- \* التيسير في أحاديث التفسير/ محمد المكي الناصري/ ط. الأولى ١٤٠٥هـ/ دار الغرب الإسلامي.
- \* الثقات/ محمد بن حبان التميمي ٣٥٤هـ/ ط. الأولى ١٣٩٣هـ/ دائرة المعارف.
- \* جامع البيان في تفسير القرآن/ محمد بن جرير الطبري ٣١٠هـ/ ط. الأولى ١٣٢٣هـ/ دار المعرفة.
- \* الجامع الصحيح (سنن الترمذي)/ محمد بن عيسى الترمذي ٢٧٩هـ/ ط. الثانية ١٣٩٨هـ/ مصطفى الباي الحلبي.
- \* الجامع لأحكام القرآن/ محمد بن أحمد القرطبي ٦٧١/ ط. ١٣٨٧هـ/ دار الكاتب العربي بالقاهرة.
- \* الجرح والتعديل/ عبد الرحمن بن أبي حاتم ٣٢٧هـ/ ط. الأولى ١٢٧١هـ/ مجلس دائرة المعارف.
- \* حلية الأولياء/ أحمد بن عبد الله الأصبهاني ٤٣٠هـ/ ط. الثانية ١٣٨٧هـ/ دار الكتاب العربي.
- \* دفع إيهام الاضطراب/ محمد الأمين الجكني الشنقيطي/ ط. ١٣٨٦هـ/ مطبعة المدني.
- \* الدر المنثور/ جلال الدين السيوطي ٩١١هـ/ دار المعرفة.
- \* الذخيرة/ علاء الدين بن علي الطوسي ٨٨٧هـ/ ط. الأولى/ دائرة المعارف.
- \* روح المعاني/ محمود الألوسي ١٢٧٠هـ/ دائرة إحياء التراث.
- \* زاد المسير في علم التفسير/ عبد الرحمن بن الجوزي ٥٩٧هـ/ ط. الأولى ١٣٨٤هـ/ المكتب الإسلامي.
- \* سنن أبي داود/ سليمان بن الأشعث ٢٧٥هـ/ ط. الأولى ١٣٨٨هـ/ محمد علي السيد.
- \* سنن ابن ماجه/ محمد بن يزيد القزويني ٢٧٥هـ/ ط. محمد فؤاد/ عيسى الحلبي.
- \* سنن الدارمي/ محمد بن عبد الرحمن الدارمي ٢٥٥هـ/ ط. ١٣٨٦هـ/ عبد الله هاشم.
- \* سنن سعيد بن منصور/ سعيد بن منصور الخراساني ٢٢٧هـ/ ط. الأولى ١٤٠٥هـ/ دار الكتب العلمية.
- \* سنن النسائي/ أحمد بن شعيب الأزدي ٣٠٣هـ/ ط. الأولى ١٤٠٦هـ/ مكتب المطبوعات.
- \* السنن الكبرى/ أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨هـ/ ط. الأولى ١٣٤٤هـ/ مجلس دائرة المعارف.
- \* سيرة النبي ﷺ (سيرة ابن هشام)/ عبد الملك بن هشام ٢١٨هـ/ ط. ١٣٨٣هـ/ مكتبة محمد علي صبيح.
- \* شرح النووي على مسلم/ يحيى بن شرف الدين النووي ٦٧٦هـ/ مطبعة الشعب.
- \* صحيح البخاري/ محمد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦هـ/ ترتيب محمد فؤاد ١٣٨٠هـ/ السلفية.
- \* صحيح الجامع الصغير/ محمد ناصر الدين الألباني/ ط. الثالثة ١٤٠٢هـ/ المكتب الإسلامي.
- \* صحيح مسلم/ محمد بن الحجاج القشيري ٢٦١هـ/ ط. الأولى ١٣٧٤هـ/ عيسى الحلبي.
- \* الصحاح في اللغة والعلوم/ للجوهري/ ط. الأولى ١٩٧٤م/ دار الحضارة.
- \* الطبقات الكبرى/ محمد بن سعد بن منيع الهاشمي ٢٣٠هـ/ ط. ١٣٨٠هـ/ دار صادر.
- \* عمدة التفسير/ إسماعيل بن كثير ٧٧٤هـ/ تحقيق أحمد شاكر.



- \* فتح القدير/ محمد بن علي الشوكاني ١٢٥٠هـ/ ط. الثانية ١٣٨٣هـ/ مصطفى البابي الحلبي .
- \* فتح الباري/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ/ ط. ١٣٨٠هـ/ السلفية .
- \* الفتوحات الإلهية/ سليمان بن عمر العجلي ١٢٠٤هـ/ عيسى البابي الحلبي .
- \* في ظلال القرآن/ سيد قطب/ ط. السابعة ١٣٩١هـ/ دار إحياء التراث .
- \* الكشف عن حقائق التنزيل/ محمود بن عمر الزغشري ٥٣٨هـ/ ط. الأولى ١٣٩٧هـ/ دار الفكر .
- \* لسان العرب/ محمد بن مكرم بن منظور ٧١١هـ/ دار صادر .
- \* مجمع الزوائد/ علي بن أبي بكر الهيثمي ٨٠٧هـ/ ط. الثالثة ١٤٠٢هـ/ دار الكتاب العربي .
- \* محاسن التأويل/ محمد جمال الدين القاسمي ١٣٣٢هـ/ ط. الثانية ١٣٩٨هـ/ دار الفكر .
- \* المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ عبد الحق بن غالب بن عطية ٥٤٦هـ/ المجلس العلمي بفاس .
- \* المحلى/ علي بن أحمد بن حزم ٤٥٦هـ/ ط. الثانية ١٣٩٥هـ/ المكتب التجاري .
- \* المستدرک على الصحيحين/ محمد بن عبد الله الحاكم ٤٠٥هـ/ مكتب المطبوعات .
- \* المسند/ أحمد بن حنبل الشيباني ٢٤١هـ/ المكتب الإسلامي .
- \* مسند أبي يعلى الموصلي/ أحمد بن علي بن المنى ٣٠٧هـ/ ط. الأولى ١٤٠٤هـ/ دار المأمون .
- \* المصنف/ عبد الرزاق بن همام الصنعاني ٢١١هـ/ ط. الأولى ١٣٩٠هـ/ المجلس العلمي .
- \* المصنف في الأحاديث والآثار/ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ٢٣٥هـ/ الدار السلفية بالهند .
- \* معالم السنن/ حمد بن محمد الخطابي ٣٨٨هـ/ ط. الأولى ١٣٨٨هـ مع سنن أبي داود .
- \* المغني/ محمد بن أحمد بن قدامة ١١٤٦هـ/ ط. ١٣٨٨هـ/ مكتبة القاهرة .
- \* مفردات غريب القرآن/ الحسين بن محمد الراغب ٥٠٢هـ/ تحقيق الكيلاني/ دار المعرفة .
- \* الملل والنحل/ علي بن أحمد بن حزم/ ط. الثانية ١٣٩٥هـ/ دار المعرفة .
- \* الموطأ/ مالك بن أنس ١٧٩هـ/ ترتيب محمد فؤاد/ دار إحياء التراث .
- \* ميزان الاعتدال/ محمد بن أحمد الذهبي ٧٤٨هـ/ ط. الأولى ١٣٨٢هـ/ عيسى البابي الحلبي .
- \* النفاذ والزندقة/ د. عطية بن عتيق الزهراني/ رسالة ماجستير (لم تطبع) .
- \* النكت والعيون/ علي بن حبيب الماوردي ٤٥٠هـ/ تحقيق خضر محمد خضر/ وزارة الأوقاف بالكويت .
- \* النهاية في غريب الحديث/ المبارك بن محمد الجزري ٦٠٦هـ/ ط. الأولى ١٣٨٣هـ/ عيسى البابي الحلبي .
- \* نيل الأوطار/ محمد بن علي الشوكاني ١٢٥٠هـ/ مصطفى البابي الحلبي .

## المراجع

- \* جريدة الشرق الأوسط .
- \* مجلة الجامعة الإسلامية .

## تصويبات كتاب

أطيب النشر في تفسير الوصايا العشر

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
————	————	————	————
٢١	١٢	رَحِمَهُ	رَحِمَهُ اللهُ
٢٣	هامش (٦)	العلكية	الفلكية
٢٥	١٦	ويلجأ	ويلجوا
٣٥	١٣	والإساءة	والإساءة
٤٣	٩	للروابط	للروابط

٤٧ صحة الآية

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ  
فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ  
أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِّنَ  
الْأَرْضِ ۚ ﴾

قال

وقال

١٠

٤٨